



مِنْ عَطَاءِ النَّهْضَةِ الْحُسَيْنِيَّةِ

إعدادُ

مركز تراث البصرة



العتبة العباسية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية

مركز تراث البصرة

البصرة - بريهة

هاتف: ٠٧٨٠٠٨١٦٥٩٧-٠٧٧٢٢١٣٧٧٣٣

البريد الإلكتروني: basrah@alkafeel.net

اسم الكتاب: من عطاء النهضة الحسينية.

إعداد: مركز تراث البصرة.

الناشر: قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العباسية المقدسة -

مركز تراث البصرة.

التصميم والإخراج: علي يوسف النجار .

الطبعة: الأولى: محرم الحرام ١٤٣٦ هـ - تشرين الثاني ٢٠١٤ م.

عدد النسخ: ١٠٠٠

حقوق الطبع والنشر محفوظة على الناشر .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةٌ

لكلِّ أُمَّةٍ طَقُوسُهَا الْخَاصَّةُ الَّتِي تَتَمَاشَى مَعَ مَوْرُوثِهَا الْحَضَارِيِّ، وَقَدْ يَطْرَأُ تَغْيِيرٌ أَوْ تَبَدُّلٌ عَلَى تِلْكَ الْمَوْرُوثَاتِ حَسَبَ تَغْيِيرِ الزَّمَانِ وَتَطْوُّرِهِ، وَلَكِنَّ فِكْرَةَ الْمَوْرُوثِ تَبْقَى أَصِيلَةً بَاهِيَّتِهَا، وَكُلُّ شَعْبٍ، أَوْ أُمَّةٍ تَعْتَزُّ وَتَفْتَخِرُ بِتِلْكَ الْمَوْرُوثَاتِ، خُصُوصاً فِي تَمْجِيدِ ذِكْرِ أَبْطَالِهَا، وَعَظْمَائِهَا وَتَحْلِيدِهِمْ، فَهُوَ مِمَّا يَبْعَثُ الْأَمَلَ فِي نَفُوسِ أَبْنَائِهَا فِي السَّيْرِ عَلَى خُطَى ذَلِكَ الْقَائِدِ الْعَظِيمِ، وَنَرَى مِنْ خِلَالِ التَّتَبُّعِ أَنَّ جَمِيعَ الْأَدْيَانِ وَالْمَذَاهِبِ وَالْمَعْتَقَدَاتِ، حَتَّى غَيْرِ السَّمَاوِيَّةِ، لَهَا شَعَائِرٌ خَاصَّةٌ بِهَا، فَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَنْظُرَ إِلَى الشَّعَائِرِ وَالطَّقُوسِ بِشَكْلِ عَامٍ نَجِدُهَا مَقْبُولَةً مِنَ النَّاحِيَةِ الْعَقْلِيَّةِ مَا لَمْ تَتَعَارَضْ مَعَ الْقِيَمِ الْعُرْفِيَّةِ، وَالْأَخْلَاقِيَّةِ، وَالِدِينِيَّةِ، فَكَيْفَ لَوْ كَانَتْ هَذِهِ الشَّعَائِرُ تُنَمِّي الْقِيَمَ الرَّوْحِيَّةَ، وَتَرْبِطُ الْأُمَّةَ بِرَمُوزِهَا وَعَظْمَائِهَا، لِذَلِكَ دَأَبَتِ الْحَضَارَاتُ عَلَى تَحْلِيدِ عُلَمَائِهَا وَقَادَتِهَا، وَتَشْيِيدِ رَمُوزِهِمْ؛ لِتَذْكَيرِ الْأُمَّةِ بِهِمْ، فَضْلاً عَنِ اعْتِرَازِ الشَّعْبِ بِأَنَّ ذَلِكَ الْقَائِدَ، أَوْ الْعَالِمَ يَنْتَمِي لَهُ، فَمَا بَالُ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الَّتِي نَكِرَتْ فَضْلَ أَعْظَمِ قَائِدٍ فِي تَارِيخِ الْبَشَرِيَّةِ، وَهُوَ النَّبِيُّ الْأَكْرَمُ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَنَكِرُوا فَضْلَ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَغَضَبُوا حَقَّهُمْ، وَلَمْ يَكْتَفُوا بِذَلِكَ، بَلْ قَامُوا بِقَتْلِهِمْ، وَتَشْرِيدِهِمْ، وَدَسَّ السُّمَّ لَهُمْ، وَالتَّنْكِيلَ بِكُلِّ مَنْ يُمُتُّ لَهُمْ بِصِلَةٍ مِنْ قَرِيبٍ، أَوْ بَعِيدٍ، أَمَا أَنْ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ أَنْ تَصْحُو؟،



..... مِنْ عَطَاءِ النَّهْضَةِ الْحُسَيْنِيَّةِ ٤

أَمَا يَكْفِي جَفَاؤَهَا تُجَاهَ الْعِتْرَةِ الطَّاهِرَةِ؟، وَإِنَّ أَتْبَاعَ أَهْلِ الْبَيْتِ (عليهم السلام) عَلَى وَجْهِ الْخُصُوصِ أَوْلَى بِحِفْظِ تَرَاثِ أَهْلِ الْبَيْتِ (عليهم السلام)، وَالتَّمَسُّكِ بِهِمْ قَوْلًا وَفِعْلًا، وَعَدَمِ التَّعَامُلِ بِمَجْرَدِ الْعَاطِفَةِ وَالْحُبِّ، فَالْمُودَّةُ لِأَهْلِ الْبَيْتِ (عليهم السلام) لَازِمَةٌ بِنَصِّ الْقُرْآنِ ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمُوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾^(١)، وَلَكِنْ خُلِقَ أَهْلُ الْبَيْتِ (عليهم السلام) وَعِلْمُهُمْ، وَتَرَاثُهُمُ الزَّائِرَ عَطَى جَمِيعِ الْجَوَانِبِ الْعِلْمِيَّةِ، وَالْحَيَاتِيَّةِ، فَلَمْ يَتْرُكُوا صَغِيرَةً، وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا رَسَمُوا لَنَا مَنَهَجًا وَسَبِيلًا فِيهَا، فَأَيْنَ نَحْنُ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ (عليهم السلام) فِي هَذِهِ الْجَوَانِبِ الْجَلِيلَةِ، الَّتِي مَنْ عَمَلَ بِهَا سَادَ الْعَالَمَ، وَمَلَكَ الصُّنَائِرَ وَالْقُلُوبَ، وَانْقَادَتْ لَهُ الدُّنْيَا، وَإِلَّا فَالْأُمَّةُ الَّتِي لَا تَهْتَمُّ بِتَرَاثِهَا، وَلَا تُعَظِّمُ قَادَتَهَا، وَتَحَرِّفُ تَارِيخَهَا، وَتَقَدِّمُ الذَّلِيلَ عَلَى الْعَزِيزِ، حَرِيٌّ بِهَا أَنْ يَصِيبَهَا الذُّلُّ وَالْهَوَانُ، وَقَدْ أَبِي أَتْبَاعُ أَهْلِ الْبَيْتِ (عليهم السلام) إِلَّا أَنْ يَسِيرُوا فِي رَكْبِ قَادَتِهِمْ، وَأَنْ يَخْلُدُوا ذِكْرَهُمْ، مِنْ خِلَالِ إِحْيَاءِ أَمْرِهِمْ، امْتِثَالًا لِأَمْرِ أُمَّتِهِمْ، قَالَ الْإِمَامُ الصَّادِقُ (عليه السلام): «أَحْيُوا أَمْرَنَا رَحِمَ اللَّهُ مَنْ أَحْيَا أَمْرَنَا»، فَبَرَزَتِ الشَّعَائِرُ الْحُسَيْنِيَّةُ مَظْهَرًا مِنْ مَظَاهِرِ إِحْيَاءِ الْأَمْرِ، بَلْ مِنْ أَبْرَزِهَا، لِتَحْكِي عِظَمَ الْمَصَائِبِ الَّتِي جَرَتْ فِي الطُّفِّ عَلَى الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ (عليهم السلام)، وَقَدْ تَمَيَّزَتِ الْبَصْرَةُ بِمُوروثِهَا الْحُسَيْنِيِّ الزَّائِرِ بِالْمُوَالَاةِ، وَالْمُودَّةِ، لِأَهْلِ هَذَا الْبَيْتِ الطَّاهِرِ، مِنْذُ الْقَدَمِ، فَظَفَّرَ بَعْضُ أَهْلِهَا بِفُوزِ الْفَتْحِ الْحُسَيْنِيِّ، فَخَلَطُوا دِمَاءَهُمْ بِدَمِ الْحُسَيْنِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ (عليهم السلام)، عَنْ عِلْمٍ وَحُزْمٍ وَدِرَايَةٍ وَشَرَفٍ، لَا عَنْ تَقْلِيدٍ وَبِدْعَةٍ جَاهِلِيَّتَيْنِ .

(١) من سورة الشورى، من الآية ٢٣.



ه مِنْ عَطَاءِ النَّهْضَةِ الْحُسَيْنِيَّةِ

إنَّ إقامة الشعيرة الحسينية في البصرة كانت وما تزال لها روحية خاصة، ففي بدايات القرن العشرين -مثلاً- أُنشئت في البصرة عدَّة مواكب للجزاء، شارك في إحيائها أطرافٌ مختلفةٌ من المجتمع البصري، من التجار والأسر الموفورة الحال، والوجهاء، والكسبة، والشباب، وغيرهم، منها مآتم البقالين، والخبازين، والقصابين، ومآتم جمعية الخياطين، ومآتم جمعية الكسبة، ومآتم جمعية العمال، ومآتم جمعية بائعي الملابس، ومآتم جمعية العمال، ومآتم آل الملاك في العشار، ومآتم باي كوكل، ومآتم عمال السكك في المعقل...، وقد بقي بعضها إلى وقتنا الحالي، وعملت هذه المآتم والهيات على إقامة الشعائر الحسينية، وشدَّ الشباب نحو العقيدة، والصلاح، والمعروف، وقد تعرَّض أصحاب هذه الطريق إلى القتل والتعذيب والتشريد إبان حكم النظام البعثي، وما يزال الركب مستمرّاً، والتضحيات قائمةً، وما تزال النفوس مهداةً، من أجل الدفاع عن مذهبهم وعقيدتهم، ولا يخفى على أحد أن الأعداء يستهدفون أهل البيت (عليهم السلام)، ومراقدهم الطاهرة، وشيعتهم ومحبيهم، ويستهدفون هذه الشعائر بالخصوص، وإنَّ التحديات التي تُحيط بمذهب أهل البيت (عليهم السلام)، وأتباعه خطيرةٌ وكبيرةٌ، تهدف إلى إطفاء نور الله «وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ»^(١)، فينبغي التكامل والارتقاء بالمستوى الفكري الذي رسمه الإمام الحسين (عليه السلام)، والمحافظة على هذه الشعائر، بأجمعها، ومنها المسيرة الأربعينية؛ لأنها تمثل

(١) من سورة التوبة، من الآية ٣٢.



شوكةً في عيون الأعداء والحاقدين، ولا ينبغي الاقتصارُ على الجانبِ العاطفيِّ في القضيةِ الحسينيةِ على الرغمِ من أهميتهِ الكبيرةِ، فالشَّعيرةُ الحسينيةُ من أبرز مظاهرِ الارتقاءِ المعنويِّ؛ لأنَّها تهدفُ إلى الإصلاحِ، ونشرِ القيمِ الأخلاقيةِ التي قامَ عليها الدينُ الإسلاميُّ، وينبغي الحِيطَةُ والحذرُ، والتعاملُ بمسؤوليةٍ ووعيٍ يتناسبُ مع حجمِ هذا التهديدِ الكبيرِ، فصاحبُ الموكبِ -مثلاً- لا بدَّ أن يهتمَّ بالمسائلِ العقائديةِ، والتثقيفيةِ للشبابِ، وإرشادهم إلى منهجِ أهلِ البيتِ (عليهم السلام)، وإلى الابتعادِ عن تقليدِ الغربِ بالأمرِ المناهيةِ لتعاليمِ الإسلامِ، والعودةِ إلى تهذيبِ النفسِ والمظهرِ، وهذا يتطلبُ أن يكونَ صاحبُ الموكبِ واعياً، ومُخْلِصاً في عمله؛ لأنَّ زيارةَ الأربعينِ مناسبةٌ تجمعُ هذهَ الفئةَ المهمةَ من المجتمعِ، التي تتعاملُ بعاطفةٍ جياشةٍ معَ القضيةِ الحسينيةِ، وكذلك الخطيبُ، والشاعرُ، وصاحبُ الرِّدَّةِ الحسينيةِ، ينبغي أن يتعاملَ بوعيٍ وإيمانٍ معَ قضيتِهِ الرئيسةِ؛ لأنَّها تمثلُ عقيدتهُ ومذهبهُ، وأن يعيَ معَ مَنْ يتعاملُ، ومَنْ يخدمُ، إنَّه يخدمُ مَنْ ضحَّى بنفسِهِ الطاهرةِ، وبأهلِهِ، وأصحابِهِ، وسبيَّتِ نساؤه، من أجلِ هذهِ القضيةِ الخالدةِ، فإحياءُ ذكراهم إنَّها هو تجسيدٌ للموقفِ البطوليِّ في مسيرةِ الشهادةِ والإصلاحِ، وما مقولةُ الإمامِ الحسينِ (عليه السلام): «إني لم أخرجُ أشراً ولا بطراً، ولا مُفسداً ولا ظالماً، وإنَّما خرجتُ لطلبِ الإصلاحِ في أمةِ جدِّي...» إلا نبزاً، وشعاراً لنا ينبغي أن نجعلهَ منهاجاً في كلِّ أعمالنا، ومنها إقامةُ الشعائرِ الحسينيةِ، لكي تنهضَ هذهَ الأمةُ النهوضَ الذي أرادَهُ لها الإمامُ الحسينُ (عليه السلام)، الذي من أجلِهِ فدى نفسه المقدَّسةَ، وبذلِ مهجتهُ الشريفةِ، مجسداً قيمَ السَّماءِ وتعاليمَ الأنبياءِ (عليهم السلام).



ويأتي كتابنا (من عطاء النهضة الحسينية) ضمن مسيرة العطاء الحسيني، لتسطر جملة من الأفلام الفدّة رؤى وأفكاراً ارتأوا بحثها في مجالات النهضة الحسينية ذات العطاء المتجدد، والخلود المتأبد، مستلهمين جوانب مختلفة من نهضة سيد الشهداء (عليه السلام)، وما جذرته في قلب الأمة الإسلامية من ثمار زاكية، هي ثمار دمه الزكي، ودماء أهل بيته وأصحابه (عليهم السلام)، وجهاد موكب أسرته المقداد إلى الشام، وآلام العلويات الطاهرات، ومآسي حجة الله الإمام زين العابدين (عليه السلام)، فارتأى مركز تراث البصرة التابع للعتبة العباسية المقدسة إخراجها، ونشرها إعماماً للفائدة، واستلهاماً للأجر، في أيام الحزن الصفريّة الأليمة، أيام طريق الأحرار، حيث يتوجه الزوّار مشياً على أقدامهم، من البصرة إلى كربلاء، سائلين الله عز وجل أن يحفظ جميع زوّار سيد الشهداء (عليهم السلام) وذويهم، وأن يديم هذه النعمة على المؤمنين كافة، حتى ظهور القائم من آل محمد (عليهم السلام)، والحمد لله رب العالمين.

مركز تراث البصرة

صفر المظفر ١٤٣٦هـ - تشرين الثاني ٢٠١٤م



حَدَادُ الْكَوْنِ

(١)



حَدَادُ الْكَوْنِ

أشرف عبد الحسن / مركز تراث البصرة

كثيراً ما تتواردُ الصُّورُ على عَيْنِ الإنسانِ خلالَ حَيَاتِهِ اليَوْمِيَّةِ، التي تُؤثِّرُ سلباً، أو إيجاباً داخلَ نَفْسِهِ، وقد تَمَرَّ لحظاتٌ، ومشاهدٌ، مُحدثُ تَغْيِيرًا جَوْهريًّا في الإنسانِ، أو تكونُ منطلقاً لبدايةٍ جديدةٍ في حَيَاتِهِ، وبقدرِ استعدادِ النَّفسِ وصفائِها يكونُ تأثيرُ تلكِ الصُّورِ عليها، التي تبقى عالقةً في ذهنِهِ، وتستدعيهِ إلى التأمُّلِ والتفكُّرِ.

وحيثما نتجولُ في أزقةِ البصرةِ وشوارعِها خلالَ شهرِ محرمٍ الحرامِ، نرى صورَ الحُزْنِ قد غمرتها، إذ تجدُّ الراياتِ السُّودَ، وشعاراتِ الحُزْنِ، قد جللتِ الشوارعَ والبيوتَ، إيذاناً بإعلانِ الحُزْنِ، والحِدادِ على أبي عبدِ الله الحُسينِ (عليه السلام)، وما ذلكَ إلا تعبيرٌ، وولاءٌ للإمامِ الحُسينِ وأهلِ بيته (عليهم السلام)، الذين ضَحَّوْا بأنفسِهِم من أجلِ الحِفاظِ على جوهرِ الدِّينِ، والأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عَنِ المنكرِ، وإقامةِ الصَّلَاةِ، وتصحيحِ مسارِ الأُمَّةِ، فتراتُ البصرةِ زاخرٌ بالصُّورِ الولاةِ العاشورائيَّةِ، التي كانت وما تزالُ تمثُلُ منهجاً للإصلاحِ، ووسيلةً عظمى لتغييرِ الواقعِ المؤلمِ وانتشالِهِ، لِلحَاقِ بركبِ الإمامِ الحُسينِ (عليه السلام). فرُفِعَ الراياتِ، ولبسُ السُّودِ، وتقديمُ الطعامِ والشَّرَابِ، جملةُ أفعالٍ لها مدلولاتٌ روحيةٌ كبيرةٌ لمن أرادَ أن يذكُرَ، أو يتفكَّرَ في معنى الشعيرةِ والهدفِ منها.. فالكونُ برُمَّتِهِ قد

تأثر بهذه الفاجعة الأليمة، فقد صرّحت السيّدة زينب عليها السلام بذلك في خطبتها لأهل الكوفة: «...ولقد أتيتم بها خرقاء شوهاء، طلاع الأرض والسّماء، أفعجتكم أن مطّرت السّماء دماً، ولعذاب الآخرة أخزى...»، ففي قولها عليها السلام تصريح واضح بالتغيّر الكوني غير المعهود الذي غطى الأرض، الذي ماتزال تظهر بوارقه بإعجاز إلهي بين وقت وآخر، علامة على الحداد الكوني المستمر الذي طبّع الكون بسبب شهادته عليه السلام، فقد احمرّ التراب المأخوذ من قبر الإمام الحسين عليه السلام، والموجود في زجاجة في متحف العتبة الحسينية يوم العاشر من المحرم سنة ٢٠١٢م - ١٤٣٤هـ، وقد قامت قناة كربلاء ببث هذا الخبر مباشرة، وشاهده عياناً المئات، إذ تواترت الروايات في مصادر العامّة والخاصّة حول حديث القارورة، وتحول التراب دماً عبيطاً يوم العاشر من المحرم^(١)، ولا ينكر الحديث إلا من سفّه نفسه، وعمي قلبه، وقد شاعت الوثيقة التاريخية البريطانية التي أرّخت لهذا الحدث العظيم وقت حدوثه سنة ٦١هـ، فقد جاء في كتاب (وقائع العصر الأنكلو ساكسون The Anglo-Saxon chronicle)، الذي ترجمه ونقّحه ميشيل اسوانتون (MICHAIL SWANTON)، وصدر في بريطانيا عام ١٩٩٦م، وأعيد طبعه ثانية من قبل جامعة اكستر (Exeter) في ولاية نيويورك الأمريكية عام ١٩٩٨م، جاء في الصفحة ٣٨ من هذا الكتاب ما نصّه:

(١) الكامل في التاريخ: ٤ / ٩٣، ينابيع المودة: ٣ / ١٢، مقتل الحسين للخوارزمي: ٩٥، ٩٦، ٩٧ / ٢ وغيرها.

(A.D. 685 Here in Britain there was Bloody rain and milk and butter were turned to blood).

ومعناه: (في عام ٦٨٥- للميلاد- هنا في بريطانيا، مَطَرَتِ السَّمَاءُ دَمًا، وَتَحَوَّلَ الحَلِيبُ وَالزُّبْدَةُ إِلَى دَمٍ، وَصَارَ لَوْنُهَا أَحْمَرَ)، وعند مقارنة هذه السنة الميلادية (٦٨٥)، مع السنين الهجرية، نجد أنها تطابق سنة ٦١ للهجرة، وهي السنة التي استشهد فيها مولانا أبو الأحرار الإمام الحسين عليه السلام، وأهل بيته الأطهار، وأصحابه الأخيار (صلواتُ الله عليهم أجمعين)، فأَيُّ قلبٍ هذا الذي لا يحزن على مصيبة الإمام الحسين عليه السلام؟ وأَيُّ عينٍ تلك التي لا تذرِفُ الدَّمْعَ على أعظم فاجعة في الكون؟، فالملائكة في السماء ضجّت من مقتله عليه السلام، وأقيمت المآتم في الملأ الأعلى، ولطّمت عليه الحور العين، وبكته السماء وسكّائها، والجنان وخزائنها، والحيتان والبحار، والطير والأشجار، وحتى الحجر والمدر، وبكت عليه الوحوش، والسباع، والأرض والبقاع، وبكته مكة والمشعر الحرام، كيف لا وقد فجع به سيّد الأنام صلى الله عليه وآله، وفجعت به سيّدة النساء الزهراء عليها السلام فهي صاحبة العزاء، وجاءت الملائكة تعزي جده وأباه، والكون بأجمعه، ومن شواهد ذلك في الآثار النبوية، ومعالم الدوحة العلوية، ما في الأمالي للصدوق تتمت، عن ابن شبيب، قال: دخلتُ على الإمام الرضا عليه السلام أوّل يومٍ من المحرم، فقال عليه السلام: «... ولقد بكت السماوات السبع والأرضون لقتله، ولقد نزل إلى الأرض من الملائكة أربعة آلاف لنصره، فوجدوه قد قُتِل، فهم عند قبره شعثُ غُبرٍ إلى أن يقوم القائم عليه السلام، فيكونون من أنصاره، وشعارهم: يا لثارات الحسين

عليه السلام، يا بن شبيبٍ لقد حدثني أبي، عن أبيه، عن جدّه عليه السلام، أنّه لما قُتِلَ جدِّي الحسين عليه السلام أمطرت السماء دماً و تراباً أحمر...»^(١). فإن عجبوا لأهل الكهف فالحسين عليه السلام أعجب.

وعن محمد بن عليّ الحلبي، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾^(٢)، قال: «لم تبك السماء والأرض أحداً منذ قُتِلَ يحيى ابن زكريّا، حتّى قُتِلَ الحسين، فَبَكَتْ عَلَيْهِ»^(٣)، وفي ذلك أيضاً ما ذكره السيوطي في كفاية الطالب، قال: (وأخرج البيهقي وأبو نعيم عن بصرة الأزديّة، قالت: لما قُتِلَ الحسين عليه السلام مطرت السماء دماً، فأصْبَحْنَا وَخَبَاؤُنَا، جَرَأْنَا، وَكُلُّ شَيْءٍ لَنَا مَلَانٌ دَمًا)^(٤)، وذكر ابن عساكر في تاريخ دمشق، بسننّه، قال: (حدثنا جعفر بن سليمان، قال: حدثتني خالتي أم سلمة، قالت: لما قُتِلَ الحسين بن عليّ مطرنا مطراً كالدم على البيوت والجُدُر، قال: وبلغني أنّه كان بخراسان والشام والكوفة)^(٥)، وذكر الذهبي في سير أعلام النبلاء بسننّه، قال: (احمرت آفاق السماء بعد قتل الحسين ستة أشهر تُرى كالدم)^(٦).

فهذه الروايات، والآيات الواضحات، لها مفاهيم ودلالات كثيرة، وكبيرة،

(١) الأملّي: ١٩٢.

(٢) سورة الدخان من الآية ٢٩.

(٣) ينابيع المودة: ٣ / ١٠١.

(٤) كفاية الطالب اللبيب: ١٢٦.

(٥) تاريخ دمشق: ١٤ / ٢٢٨، ٢٢٩.

(٦) تاريخ الإسلام: ٥ / ١٥، سير أعلام النبلاء: ٣ / ٣١٢.

يَعَجْزُ حَتَّى الْعِلْمُ الْحَدِيثُ عَنْ تَفْسِيرِهَا، فَالْإِمَامُ الْحُسَيْنُ عليه السلام رِيحَانَةُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله، وَلَا عَجَباً أَنْ بَكَتِ السَّمَاءُ دَمًا، فَاللَّهُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْ أَجْلِ أَهْلِ الْبَيْتِ عليهم السلام، كَمَا ذَكَرَ ذَلِكَ فِي عِدَّةِ نصوصٍ، أBRZHA حَدِيثُ الْكِسَاءِ: «مَا خَلَقْتُ سَمَاءً مَبْنِيَّةً، وَلَا أَرْضاً مَدْحِيَّةً، إِلَّا فِي مَحَبَّةِ هَؤُلَاءِ الْخَمْسَةِ الَّذِينَ هُمْ تَحْتَ الْكِسَاءِ..»^(١)، وَالْإِمَامُ الْحُسَيْنُ عليه السلام نَوْرُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ، وَوَارَثَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَالْآيَاتُ وَالْبَرَاهِينُ الْإِلَهِيَّةُ وَاضِحَةٌ كَوْضُوحِ الشَّمْسِ فِي رَائِعَةِ النَّهَارِ، لَا تَنْحَجِبُ إِلَّا عَمَّنْ أَعْمَضَ عَيْنِيهِ عَنْهَا، أَوْ تَسْتَرَّ بِحُجْبِ الظُّلْمَةِ، «سُنْرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوْ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ»^(٢)، بَلِ الْعَجَبُ إِذْ لَمْ تَنْقَلِبِ الْأَرْضُ عَلَى مَنْ فِيهَا، وَلَمْ يُصِبْهُمْ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ، عَلَى هَوْلٍ مَا فَعَلُوا مِنْ جَرِيمَةٍ تَكَادُ السَّمَاءُ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ، وَتَحْرُقَ الْجِبَالَ هَدًّا.

نَسَأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنَا مِنَ السَّائِرِينَ فِي رُكْبِ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ عليه السلام، وَالْمُضْحِحِينَ فِي سَبِيلِهِ، وَمِنَ الَّذِينَ إِذَا رَأَوْا آيَاتِ اللَّهِ أَوْ سَمِعُوهَا زَادَتْهُمْ إِيمَانًا، وَلَمْ يَمُرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمِيَانًا^(٣).

(١) مفاتيح الجنان: ٦٨١، طبعة مؤسسة الحكمة للثقافة الإسلامية، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.

(٢) سورة فُصِّلَتِ الْآيَةِ، ٥٣.

(٣) مضمونُ بعض آياتِ القرآنِ الكريمِ، سورة الأنفالِ، الآية: ٢، وسورة الفرقانِ الآية ٧٣،

وسورة فُصِّلَتِ، الآية: ٥٣.



فلسفة الشهادة

(٢)



فلسفة الشهادة

أ. د. حسين علي المصطفى

جامعة البصرة - كلية التربية

إنَّ الشهادةَ بوصفها مفهوماً فلسفياً، هي « تجسيدُ العلاقةِ بينَ الشريعةِ، وصيرورةِ التاريخِ حدَّ الاستشهادِ »^(١)، والشهادةُ تعني الاختيارَ الواعي، الذي يُقدِّم عليه الإنسانُ طوعاً، وبوعي، وإدراكٍ، ويختارُهُ بدافعٍ ذاتيٍّ بعيدٍ. والشهادةُ في سبيلِ الله هي إحدى الطُّرُقِ للوصولِ إلى رِضا الله والقربِ منه، ومعنى الشهادةِ أن يُقتلَ الإنسانُ في سبيلِ هدفٍ سام، ونبيلٍ في طاعةِ الله عزَّ وجلَّ. يرى البعضُ أنَّ الشهادةَ خسارةً، وثغرةٌ تُفتَحُ في جسدِ الأمة؛ لأنَّ فقدانَ جيلِ السُّبَابِ على الجبهاتِ خسارةٌ للجيلِ النامي في الأمة، مُتناسينَ أنَّ الشهادةَ هي الحلُّ الوحيدُ لإنقاذِ الأوطانِ من تداعي العُدوان، الذي يريدُ السيطرةَ وفرضَ أفكاره على المجتمعاتِ، وجعلهم عبيداً له.

والشهادةُ هنا لا تعني خروجاً من الحياة، ولكنها تعني تجسيداً لحقيقةِ الحياةِ التي يصفها القرآنُ الكريمُ بـ(الحيوان)، في قوله تعالى: ﴿ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا هُوَ وَلَعِبٌ، وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ هِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾، أي: الحياةُ

(١) ينظر: نظرية الشهادة بين الظاهراتية والواقع، رؤية فلسفية تحليلية للموت والشهادة، الإمام عليؑ مثلاً، محاضرة للأستاذ الدكتور وليد سعيد البياتي، (الشبكة الإلكترونية).



الأبديّة، تأكيداً على حيويّتها، أو الحياة المطلقة، التي لا تتحقّق تحقّقاً مُطلقاً إلاّ في عوالم الآخرة .

وتكتسبُ الشّهادةُ قيمتها الحقيقيّة من موافقتها الموقفَ الشرعيّ، وإلاّ فإنّها لا تكتسبُ قيمةً حقيقيّةً، فبذلُ الرُّوح لا يكونُ شهادةً إلاّ إذا استتمّى شرعيّته من النصِّ الإلهيِّ (القرآن، والسُّنة المطهّرة).

كما يكتسبُ مُصطلحاً الشّهيد والشّهادة، أهميّةً خاصّةً في تاريخ الإسلام على اختلاف العصور والأزمنة، وقد ازدادت أهمّيّتها في الآون الأخير والمعاصر، خصوصاً بعد الهجمة الشرسة للتكفيريين (الدواعش)، الذين استخدّموا مفردة الشّهادة (بمفهومها المنحرّف) لقتل المسلمين والنّاس، فيجبُ أن تأتي الشّهادة (بمفهومها الصحيح)، وهو الدفاع عن النّاس، وحماية أرضهم.

وتبرزُ الآن مدرسة عاشوراء معينا لا ينضب، ومستودعاً لأعظم المعاني الأخلاقيّة السامية، فمنها تعلّم الإنسان القيمَ الدينيّة والإنسانيّة، كالتضحية، والإيثار، والبذل، وعزة النفس، والاستقامة في الحياة، وقبل كلّ ذلك تصحيح مسارِ الدينِ الحقّ.

والإمامُ الحسينُ (عليه السلام) هو رائدُ هذا الدّور، ومُلهمُهُ ومنفّذه، إذ صرّب أروعَ دَرسٍ، وأعظمَ حكمةٍ، وأبلغَ عبرةٍ وعِظةٍ، من أجلِ إنقاذِ الضمائرِ الميّتة، والمريضة، والمنحرفة، والمتزلزلة، إنقاذاً سيّمتدُّ إلى أن يرث الله الأرضَ ومن عليها.

فقد فدى الإمامُ الحسينُ (عليه السلام) العقيدةَ الإسلاميّةَ الصحيحةَ بنفسه وعباله، وأعزّ



ما يملك، وخطّ بدمه الطاهر الزكيّ النقيّ، أكبر ملحمة إصلاحية في تاريخ البشرية على اختلاف العصور والدهور، وسجّل أعظم شهادة أكسبته منفرداً وسام سيادة الشهداء، بعد أن كان حمزة بن عبد المطلب عليه السلام هو صاحب هذا اللقب.

ومن هنا ندرك السرّ الذي يكمن في إصرار الشيعة على إحيائها، والمبالغة في تعظيم شعائرها ومراسيم ذكرياتها الخالدة .

إنّ الإمام الحسين عليه السلام تحوّل إلى ثورة ضدّ حالة الانهيار والتراجع في الأمة الإسلامية، ومنّ المعلوم أنّ لكلّ ثورة وجهان: الدّم، والرّسالة، وقد أدّى الإمام الحسين عليه السلام الرّسالة بدمه الطاهر، ودماء أهل بيته وأصحابه عليهم السلام، وجهاد العلويّات من آل البيت عليهم السلام، وعلى رأسهم عقيلة الطالبين السيّدة زينب عليها السلام، فوصل إلى مسامع العالم صوت الدّم، ونداء الأجساد الهامدة المجلّلة بجلال القدس، بين « الأموات المتحرّكين ».

لقد انتهت مأساة كربلاء الشهادة، لتبدأ مسيرة كربلاء.. انتهت هذه المأساة بسفك أذى الدماء، وسبي أطهر النساء، وحدوث فاجعة لم يسبق لها مثيل عبر التاريخ، لتبتدئ بعد ذلك مسيرة جديدة، تحوّلت إلى حقائق راسخة، توغّلت في عمق الإنسان المؤمن بالشهادة حتّى أصبحت جزءاً منه، وما الاستجابة الفوريّة لدعوة المرجعية الدينيّة في النجف الأشرف بالجهاد الكفائيّ، من جموع الشعب العراقيّ، بكلّ حماسة، إلّا دليل على روحية الشهادة التي استقّوها من عاشوراء الحسين عليه السلام .



قراءة في رسالة الإمام الحسين عليه السلام
إلى أهل البصرة

(٣)



قراءة في رسالة الإمام الحسين عليه السلام إلى أهل البصرة

أ.د. جواد كاظم النصر الله

جامعة البصرة - كلية الآداب

في رجب سنة ٦٠ هـ توفي معاوية بن أبي سفيان بعد أن مهّد الطريق لولده يزيد، الذي بدوره - وحالما تولّى الحكم - كتب إلى والي المدينة أن يأخذ البيعة من الإمام الحسين عليه السلام، لكن الإمام عليه السلام رفض ذلك، قاتلاً: (إنّ مثلي لا يبايع مثله).

هذا الموقف يُعدُّ إعلاناً لبداية ثورته المباركة، بعدها ارتحل عليه السلام بأهل بيته من المدينة في ٢٨ - رجب - سنة ٦٠ هـ، إلى مكة التي وصلها في ٣ شعبان، وبقي فيها حتى ٨ ذي الحجة، أي ما يقرب من (١٢٥) يوماً، وهي أطول فترات الثورة الحسينية.

وفي مكة علم أهل الكوفة برفض الإمام الحسين عليه السلام ببيعة يزيد، فأخذوا بمكاتبتهم، ودعوتهم للقدوم إلى الكوفة؛ لغرض مبايعته بالخلافة، فأجابهم الإمام الحسين عليه السلام بكتاب، وأرسل لهم ابن عمه مسلم بن عقيل ليستخبر حالهم. لكن الأمر اللّاف للنظر أنّ الإمام الحسين عليه السلام وهو في مكة قام بنفسه بمكاتبة أهل البصرة من دون الأمصار الإسلامية، إذ لم نجد ما يشير إلى أنّه عليه السلام كاتب مصر آخر.

فقد جاء في تاريخ الطبري ما نصّه: « وقد كان حسينٌ كتبَ إلى أهل البصرة

كتاباً، قَالَ هِشَامُ: قَالَ أَبُو مَخْنَفٍ: حَدَّثَنِي الصَّقَعْبُ بْنُ زَهِيرٍ عَنْ أَبِي عَثْمَانَ النَّهْدِيِّ، قَالَ: كَتَبَ حُسَيْنٌ مَعَ مَوْلَى لَهُمْ يُقَالُ لَهُ سُلَيْمَانُ، وَكَتَبَ بِنَسْخَةٍ إِلَى رُوَسِ الْأَخْمَاسِ بِالْبَصْرَةِ، وَإِلَى الْأَشْرَافِ، فَكَتَبَ إِلَى مَالِكِ بْنِ مَسْعُودِ الْبَكْرِيِّ، وَإِلَى الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ، وَإِلَى الْمُنْذِرِ بْنِ الْجَارُودِ، وَإِلَى مَسْعُودِ بْنِ عَمْرٍو، وَإِلَى قَيْسِ بْنِ الْهَيْثَمِ، وَإِلَى عَمْرٍو بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرٍ، فَجَاءَتْ مِنْهُ نَسْخَةٌ وَاحِدَةٌ إِلَى جَمِيعِ أَشْرَافِهَا.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى مُحَمَّدًا (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّم) عَلَى خَلْقِهِ، وَأَكْرَمَهُ بِنَبَوَّتِهِ، وَاخْتَارَهُ لِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ قَبَضَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ، وَقَدْ نَصَحَ لِعِبَادِهِ، وَبَلَّغَ مَا أُرْسِلَ بِهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّم)، وَكَنَّا أَهْلَهُ وَأَوْلِيَاءَهُ، وَأَوْصِيَاءَهُ، وَوَرِثَتَهُ، وَأَحَقَّ النَّاسِ بِمَقَامِهِ فِي النَّاسِ، فَاسْتَأْثَرَ عَلَيْنَا قَوْمُنَا بِذَلِكَ، فَرَضِينَا وَكَرِهْنَا الْفِرْقَةَ، وَأَحْبَبْنَا الْعَافِيَةَ، وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّا أَحَقُّ بِذَلِكَ الْحَقِّ الْمُسْتَحَقِّ عَلَيْنَا مِمَّنْ تَوَلَّاهُ، وَقَدْ أَحْسَنُوا، وَأَصْلَحُوا، وَتَحَرَّوْا الْحَقَّ، فَرَحِمَهُمُ اللَّهُ، وَغَفَرَ لَنَا وَلَهُمْ، وَقَدْ بَعَثْتُ رَسُولِي إِلَيْكُمْ بِهَذَا الْكِتَابِ، وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّم)، فَإِنَّ السُّنَّةَ قَدْ أُمِّيتَتْ، وَإِنَّ الْبِدْعَةَ قَدْ أُحْيِيَتْ، وَإِنْ تَسْمَعُوا قَوْلِي، وَتَطِيعُوا أَمْرِي، أَهْدِيكُمْ إِلَى سَبِيلِ الرِّشَادِ. وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ).

مِنْ خِلَالِ النَّصِّ أَعْلَاهُ يُمْكِنُ الْإِشَارَةُ إِلَى جَمَلَةِ أُمُورٍ:



أولاً: ما الذي كان يريده الإمام (عليه السلام)؟

ثانياً: لماذا كاتب الإمام (عليه السلام) أهل البصرة؟

ثالثاً: من هو رسول الإمام (عليه السلام)؟

رابعاً: من هم الذين كاتبهم الإمام (عليه السلام)؟

خامساً: ما هي ردود أفعالهم؟

وسنستعرض الإجابة عن هذه الأسئلة، كما يأتي:

أولاً: ما الذي كان يريده الإمام (عليه السلام)؟

تضمنت رسالة الإمام الحسين (عليه السلام) عدة أمور:

أولاً: النبي محمد (صلى الله عليه وآله): إذ أشار (عليه السلام) إلى جهود النبي (صلى الله عليه وآله) في القيام بتبليغ

الدعوة الإلهية خير قيام.

ثانياً: أهل البيت (عليهم السلام): فقد أكد (عليه السلام) أن أهل البيت (عليهم السلام) هم الأحق بمقام

النبي (صلى الله عليه وآله)، إذ هم:

١ - أهله. ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾.

٢ - أوليائوه: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ

وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾.

٣ - أوصيائوه: فلكل نبي وصي، وهم أوصيائوه، كما تواتر هذا المضمون

بالأحاديث النبوية، بالأسانيد الحسان.

٤ - ورثته: يرثونه مادياً، كما يرثون مقامه في القيام على أمر الشريعة.



٥ - طبقاً لما مرَّ، فهُم أحمقُ النَّاسِ بمقامِهِ في النَّاسِ، سواءً بالقرابةِ القريبةِ، أو بالنصِّ الإلهيِّ .

ثالثاً: مظلوميةُ أهلِ البيتِ عليهم السلام: أشارَ عليه السلام إلى الظلمِ الذي لحقَ أهلَ البيتِ عليهم السلام حالَ وفاةِ النبيِّ صلى الله عليه وآله، كما وثقَ ذلكَ أميرُ المؤمنينَ في خطبتهِ الشُّقشُقيَّةِ، مانعينَ أهلَ البيتِ من أداءِ دورِهِم الرساليِّ، ليسَ في قيادةِ الأُمَّةِ فقط، بل حتى في القيامِ على الشريعةِ.

رابعاً: موقفُ أهلِ البيتِ عليهم السلام: اضطرَّ أهلُ البيتِ عليهم السلام إلى قبولِ الأمرِ الواقعِ، حياطةً للإسلامِ «فرضينا، وكرهنا الفرقة، وأحببنا العافية»، ويضيفُ الإمامُ عليه السلام مؤكداً: «ونحنُ نعلمُ أَنَّا أحمقُ بذلكَ الحقِّ المستحقِّ علينا من تولاةِ».

خامساً: الموقفُ من منهجِ المتقدمينَ: ورَدَ في رسالةِ الإمامِ عليه السلام التي أوردَها الطبريُّ، كأنَّ الإمامَ يُشيدُ بدورِ مَنْ تقدَّمَ على أهلِ البيتِ عليهم السلام من الحكَّامِ الثلاثةِ، فهل هذا الكلامُ صدرَ صحيحاً من الإمامِ عليه السلام، أم أَنَّهُ دَسَّ في نصِّ رسالةِ الإمامِ عليه السلام؟ وإذا كانَ صحيحاً، فهل الإمامُ عليه السلام يُشيرُ فعلاً إلى واقعٍ صحيحٍ، أو أَنَّهُ إذْ يخاطبُ هؤلاءِ التابعينَ لهم، يستحسنُ مراعاتَهُم عندَ ذِكْرِ أسلافِهِم؟! .

سادساً: الواقعُ الإسلاميُّ: أكَّدَ عليه السلام أنَّ سَنَةَ النبيِّ الكريمِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله قد أُميتت، ولم يعدْ يُعملُ بها، وتمَّ استحداثُ أمورٍ ليست من الدينِ في شيءٍ، وسمَّوها سَنَةً، وما هيَ إلا بدعٌ.

سابعاً: الدعوةُ للعملِ بالكتابِ والسُّنَّةِ: من هنا يجبُ الرجوعُ إلى العملِ

بكتابِ الله تعالى والسَّنةِ النبويَّةِ الصحيحة، التي لا يوجدُ لها مصداقٌ متكاملٌ إلا عندَ أهلِ البيتِ (عليهم السلام)، إذْ هم أدرى بالشرعية؛ لأنَّها نزلت عليهم، فقد روي عن رسولِ الله (صلى الله عليه وآله) أنَّه قال: «إني تاركٌ فيكم الثقلينِ كتابَ الله وعترتي أهلَ بيتي، فإنَّهما لَن يَفترقا حتَّى يردا عليَّ الحوضَ».

سابعاً: إنَّ استجابةَ أولئك دعوةِ الإمامِ (عليه السلام) يعني الهدايةَ والسَّدادَ، وبناءَ المجتمعِ الإسلاميِّ الأمثل، الذي أشارَ القرآنُ الكريمُ إلى خصائصه، وسعى النبيُّ محمدٌ (صلى الله عليه وآله)، ومن بعده أميرُ المؤمنينَ (عليه السلام) إلى إرساءِ قواعدهِ.

ثانياً: لماذا كاتَبَ الإمامُ (عليه السلام) أهلَ البصرة؟

يمكنُ القولُ إنَّ مراكزَ القوى في العالمِ الإسلاميِّ يومذاك تكمنُ في عدَّةِ مُدن، أبرزها البصرةُ والكوفةُ، فهما ثقلُ العالمِ الإسلاميِّ يومذاك، ومنها تنطلقُ الجيوشُ لنشرِ مبادئِ الإسلامِ في الخليجِ والمشرق، فضلاً عن معرفةِ أهلِ المدينتينِ بالإمامِ الحسينِ (عليه السلام)، ففي البصرة قَدِمَ الإمامُ الحسينُ (عليه السلام) مع أبيه أميرِ المؤمنينَ (عليه السلام) في أحداثِ الجمل، وبقيَ بينهم (٧٢) يوماً، واستمرت هذه المعرفةُ والتواصلُ مع الإمامِ (عليه السلام)، إذ كانوا يراسلونه ويسألونه في أمورِ الدِّين، منها على سبيلِ المثالِ سؤالُهُم عن معنى الصَّمَد، كما ذكر الشيخُ الصَّدوقُ في كتابهِ التوحيد^(١).

ثالثاً: مَنْ هو رسولُ الإمامِ (عليه السلام)؟

يظهر أن الإمام الحسين عليه السلام قد أرسل رسولين من مكة، الأول: مسلم بن عقيل إلى الكوفة، والثاني: سليمان بن رزين إلى البصرة، لكن مسؤولية الرسولين تباينت، ففي الوقت الذي كان مسلم ممثلاً للإمام الحسين عليه السلام إلى أهل الكوفة، اقتصرت مهمة سليمان على إيصال رسالة الإمام عليه السلام إلى أهل البصرة، وسليمان هذا هو سليمان بن رزين، ويظهر أن أباه كان مولياً للإمام الحسين عليه السلام؛ لذا تزوج من كبشة وهي جارية للسيدة رقية أم إسحاق زوجة الإمام الحسين عليه السلام، فولدت له سليمان الذي بقي مولياً للإمام الحسين عليه السلام، ويظهر أنه ممن سار مع الإمام عليه السلام من المدينة إلى مكة، ولعله كان ذا مكانة متميزة عند الإمام الحسين عليه السلام؛ لذا اختاره ليوصل رسالته إلى رؤوس الأخماس وأشرف البصرة.

رابعاً: من هم الذين كاتبهم الإمام عليه السلام؟

من خلال نص كتاب الإمام عليه السلام إلى أهل البصرة يتضح أن كتابه أرسل إلى مجموعتين، المجموعة الأولى: زعماء الأخماس، والثانية: الأشراف، فما المقصود بالأخماس؟ ومن هم أولئك الزعماء والأشراف؟ .

لقد كانت البصرة أول مدينة بُنِي على الطراز الإسلامي سنة ١٤ هـ، لكنها لم تخرج عن إطار الجانب القبلي، إذ قُسمت أرضها حسب القبائل التي نزلتها، وأعيد تقسيمها في عهد زياد أيام معاوية، لغرض السيطرة عليها إلى خمسة أقسام إدارية تدعى الأخماس، وكان كل خمس يضم عدداً من العشائر، وقد توزعت القبائل على هذه الأخماس، وهي: خمس بني تميم، وخمس الأزد، وخمس عبد

القيس، وُخمس بكر بن وائل، وُخمس أهلِ العالية، أمّا زعماءُ الأَخماس، فهُم: مالك بن مسمعِ البكريّ شيخُ بكر بن وائل، والأحنف بن قيس زعيم بني تميم، الذي تباينت الرؤى في موقفه من أمير المؤمنين عليه السلام، ومسعود بن عمرو بن عدي الأزديّ، وقيس بن الهيثم السلمي، والمنذر بن الجارود العبديّ زعيم عبد القيس، أمّا الأشرافُ، فلمْ تذكرْ كُتُبُ التاريخِ إلا واحداً، وهو يزيد بن مسعودِ النهشليّ.

خامساً: ما هي ردودُ أفعالهم؟

مِنَ المؤسِفِ أنّ تلكَ المواقفَ كانت مخيِّبةً للأمال، ولم تكن بالمستوى المطلوب، ما عدّا موقفَ واحدٍ، ألا وهو موقفَ يزيد بن مسعودِ النهشليّ، كما سنراه لاحقاً.

شَهِيدُ الثَّوْرَةِ الْحُسَيْنِيَّةِ الْأَوَّلِ:

لقد قدّمت الثورةُ الحُسَيْنِيَّةُ، وما تزالُ أعداداً لا حصرَ لها من الشّهداءِ، ويُعدُّ سُلَيْمَانُ بْنُ رُزَيْنِ الشَّهِيدَ الْأَوَّلَ لِهَذِهِ الثَّوْرَةِ، ويظهرُ أنّ سُلَيْمَانَ رَافِقَ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ عليه السلام فِي تَحْرِيكِهِ مِنَ الْمَدِينَةِ الْمَنُورَةِ إِلَى مَكَّةَ، وَنَسْتَدُلُّ مِنْ اخْتِيَارِ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ عليه السلام إِيَّاهُ رَسُولاً إِلَى أَهْلِ الْبَصْرَةِ أَنَّهُ كَانَ مَوْضِعَ ثِقَةِ الْإِمَامِ عليه السلام؛ هَذَا اخْتَارَهُ لِهَذِهِ الْمَهْمَةِ، وَيُظْهِرُ أَنَّهُ أُرْسِلَ فِي الْوَقْتِ الَّذِي أُرْسِلَ الْإِمَامُ عليه السلام فِيهِ مُسَلِّمَ بْنَ عَقِيلٍ إِلَى الْكُوفَةِ، فَانْطَلَقَ كُلُّ إِلَى وَجْهَتِهِ، مَعَ اخْتِلَافِ مَهْمَةٍ كُلِّ مِنْهُمَا، إِذْ إِنَّ مَهْمَةَ مُسَلِّمٍ أَنَّهُ كَانَ مِمثلاً عَنِ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ عليه السلام إِلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ، أَمَّا سُلَيْمَانُ



فيظهر أن مهمته اقتضت على إيصال رسالة الإمام (عليه السلام) إلى زعماء الأخماس وأشرف البصرة، الذين كان موقفهم سلبياً، لكنهم كتموا أمر الرسالة، ما عدا المنذر بن الجارود، الذي كانت تربطه علاقة مصاهرة مع ابن زياد؛ لذا فإنه قام بإبلاغ ابن زياد بأمر الرسالة، ثم قام بتسليمه رسول الإمام (عليه السلام)، مدعياً فيما بعد أنه خشي أن يكون هذا الرسول مُندساً من ابن زياد.

الموقف البصري من الثورة الحسينية :

من خلال ما وصلنا من النصوص التاريخية، نجد أن الموقف البصري تمثل بقبيلتي عبد القيس، وتميم، وكما يأتي:

أولاً: مؤتمر عبد القيس

تُشير النصوص التاريخية إلى أن شيعة البصرة أخذوا يتجمعون في بيت إحدى نساء البصرة، وتسمى مارية ابنة منقذ، أو ابنة سعد، وهي من قبيلة عبد القيس، يتباحثون في أمر نصرة الإمام الحسين (عليه السلام)، ويمكن وصف هذا الاجتماع أنه مؤتمر سري حضره شيعة البصرة من عبد القيس، وقد استمر أياماً، فمن هي مارية؟ ولماذا كان الاجتماع في بيتها؟

من المؤسف أن كُتِبَ التاريخ تضحُّ علينا بأية معلومات عن هذه المرأة سوى أنها من قبيلة عبد القيس، وأنها كانت من شيعة أمير المؤمنين (عليه السلام)، وقد أخذ بيتها مكاناً لتداول الرأي في كيفية نصرة الإمام الحسين (عليه السلام)، ويظهر أن الأسباب التي دعت إلى ذلك، هي:



١ - إنَّهَا شَخْصِيَّةٌ ذَاتُ مَكَانَةٍ مَرْمُوقَةٍ، وَجَاهٍ وَشَرَفٍ فِي مَجْتَمِعِهَا آنَذَاكَ.

٢ - لَعَلَّ اخْتِيَارَهُمْ دَارَهَا مَكَانًا لِلِاجْتِمَاعِ وَالتَّبَاحِثِ، يَدُلُّ عَلَى الْحَذَرِ وَالتَّكْتِمِ، الَّذِي كَانَتْ تَعِيشُهُ شِيعَةُ البَصْرَةِ؛ لِذَا اخْتَارُوا تِلْكَ الدَّارَ لِتَمْوِيهِهِ عَلَى السُّلْطَةِ، الَّتِي وَضَعَتْ العِيُونَ لِلتَّضْيِيقِ عَلَيْهِمْ .

ويظهر أنَّ المُجْتَمِعِينَ وَاجْهَتَهُمْ صَعُوبَةُ الخُرُوجِ مِنَ البَصْرَةِ وَالتَّحَاقِ بِالإِمَامِ الحُسَيْنِ (عليه السلام)، وَذَلِكَ لِلِإِجْرَاءِ الصَّارِمَةِ الَّتِي أُتِّخِذَتْ مِنْ قِبَلِ الحُكُومَةِ المَحَلِّيَّةِ فِي البَصْرَةِ، إِذْ كَتَبَ ابنُ زِيَادٍ إِلَى عَامِلِهِ عَلَى البَصْرَةِ (أَخُوهُ عِثْمَانُ): (أَنْ يَضَعَ العِيُونَ وَيَأْخُذَ الطَّرِيقَ)، لِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَهْلُ البَصْرَةِ الخُرُوجَ وَالتَّحَاقَ بِالإِمَامِ (عليه السلام)، إِلَّا بِشَكْلِ فَرْدِيٍّ وَفِيهِ كَثِيرٌ مِنَ المَجَازِفَةِ، فَيُذَكَّرُ أَنَّ أَحَدَ المُؤْتَمِرِينَ وَاسْمُهُ (يَزِيدَ بنَ نَبِيطِ العَبْدِيِّ) مِنْ قَبِيلَةِ عَبْدِ القَيْسِ قَرَّرَ المَجَازِفَةَ وَالخُرُوجَ، وَكَانَ لَهُ عَشْرَةٌ مِنَ الأَوْلَادِ، فَقَالَ لَهُمْ: أَيُّكُمْ يَرافِقُنِي؟ فَخَرَجَ مَعَهُ اثْنَانِ مِنَ أَوْلَادِهِ، وَهُمَا عَبْدُ اللَّهِ وَعَبِيدُ اللَّهِ، ثُمَّ أَطْلَعَ بَاقِيَ المُؤْتَمِرِينَ عَلَى قَرَارِهِ، لَكِنَّهُمْ حَذَّرُوهُ مِنَ المَسَالِحِ الَّتِي نَشَرَهَا ابنُ زِيَادٍ فِي كُلِّ مَكَانٍ، فَقَالَ: (إِنِّي وَاللَّهِ لَوْ قَدِ اسْتَوَتْ أَخْفَافُهَا بِالْجَدِّ لَهَانَ عَلَيَّ طَلَبَ مَنْ طَلَبَنِي)، وَفِعْلاً خَرَجَ مَعَ وَلَدِيهِ وَتَمَكَّنَ مِنَ التَّخْفِيِّ وَالإِفْلَاتِ مِنْ أَيْدِي تِلْكَ المَسَالِحِ، وَالْوَصُولِ إِلَى الإِمَامِ الحُسَيْنِ (عليه السلام) فِي الأَبْطَحِ.

ويظهرُ أَنَّ الأَمْرَ لَمْ يَقتَصِرْ عَلَى يَزِيدَ وَوَلَدِيهِ، وَإِنَّمَا خَرَجَ آخَرُونَ مِنْ هَذَا المُؤْتَمَرِ، وَكُلُّهُمْ مِنْ عَبْدِ القَيْسِ فَتَمَكَّنُوا مِنَ الوَصُولِ وَالتَّحَاقِ بِالإِمَامِ (عليه السلام).

وهو في الأبطح، وهم الأدهم بن أمية من عبد القيس، وعامر بن مسلم العبدِيُّ، وسالم مولى عامر بن مسلم، وسيف بن مالك العبدِيُّ .
من هنا يتبيّن أنّ الاجتماع خاصّ بقبيلة عبد القيس، فقد عُقدَ في بيتِ امرأةٍ من عبد القيس، فضلاً عن ذلك أنّ الذين خرجوا من هذا الاجتماع كلهم من عبد القيس، ولكن لماذا عبد القيس؟.

كانت عبد القيسٍ معروفةً بالثَّشِيعِ، ولعلّ تشييعها يرجع إلى أيامِ النبيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ، وهو مقترنٌ مع إسلامها، إذ وفدَ زعيمها الجارود العبدِيُّ على النبيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ مع قومه ليُعلنوا دخولهم في الإسلام سنة ٦هـ، ويظهر أنّ الجارودَ، -وهو نصرانيٌّ سابقاً- سألَ النبيَّ ﷺ، عن وصيِّه؟، ثمّ استقرّت القبيلةُ في البصرة، ويظهر أنّ عدداً من أفرادِ هذه القبيلة تعرّضوا للنفى إلى الشام في أيامِ عثمانِ إِبَّانَ ولايةِ عبدِ الله بن عامر بن كرز على البصرة؛ بسببِ مواقفهم الراضيةِ سياسةً والي البصرة، ولعلّ الوالي أدركَ ميولهم العلويةَ فقامَ سنة ٣٣هـ بتهجيرِ عددٍ من أهالي البصرة، من ضمنهم مجموعةٌ من شيعةِ عبد القيس.

وقد ظهرت ميولُ عبد القيسِ العلويةُ بشكلٍ جليٍّ في رفضِ عبد القيسِ وجودَ أصحابِ الجملِ في البصرة، ثمّ الدخولَ معهم في مواجهةٍ عسكريّةٍ في ما عُرفَ باسمِ الجملِ الأصغرِ، التي قادَ فيها حُكيم بن جبلة العبدِيُّ جموعَ البصريّين من عبد القيس، وغيرها في سبعمائةٍ مقاتلٍ، استشهد منهم ثلاثمائة، منهم سبعونٌ من عبد القيس، وبعد ذلك خرجت عبد القيس في ألفين منهم

للقاء أمير المؤمنين في ذي قار، وكانوا من أهم أنصاره في الجملِ وصفينَ.
ومن هنا نجدُ أنَّ موقفَ عبدِ القيسِ من الإمامِ الحسينِ (عليه السلام) لم يتمثَّلْ بشخص
زعيمها الذي تمَّ شراؤه من قبلِ الواليِ الأمويِّ، وإنَّما من قبلِ أفرادٍ من قبيلةِ
عبدِ القيسِ اضطرُّوا إلى التخلُّفِ والاجتماعِ في بيتِ إحدى نساءِ عبدِ القيسِ،
وهي ماريةُ العبديةِ، وقد أسفرَ عن هذا الاجتماعِ خروجُ سبعةٍ من عبدِ القيسِ
للقاء الإمامِ الحسينِ (عليه السلام)، والاستشهادِ بينَ يديه (عليه السلام). ولكنَّ هذا لا يعني أنَّ
أولئك السبعةَ هم فقط من خرجَ لنصرةِ الإمامِ (عليه السلام)، وإنَّما لا يبعدُ خروجُ آخرينَ
قد وقعوا في قبضةِ المسالِحِ الأمويَّةِ، وتمَّ القضاءُ عليهم، أو إعادتهم إلى البصرةِ.

ثانياً: مؤتمر تميم

أشارت المدوناتُ التاريخيةُ إلى أنَّ الشخصيةَ الوحيدةَ التي استجابتَ لنداءِ
الإمامِ الحسينِ (عليه السلام) ممَّن خصَّهم (عليه السلام) من أشرفِ البصرةِ، هو يزيدُ بنُ مسعودِ
النهشليِّ، الذي اتخذَ قراراً بنصرةِ الإمامِ الحسينِ (عليه السلام)، لذا جمعَ جموعَ بني تميم،
وقامَ خطيباً داعياً لنصرةِ الإمامِ (عليه السلام)، وقد كانَ موقفُ كلِّ من بني حنظلةَ، وبني
عامرٍ إيجابياً، أعجبَ يزيدُ بنُ مسعود، لكنَّهُ تأسَّفَ لموقفِ بني سعد، وحذَّره
من وخيمةِ ذلك، ثمَّ كتبَ يزيدُ بنُ مسعودٍ إلى الإمامِ الحسينِ (عليه السلام) ملبياً دعوتهُ،
وقد أرسلَ الكتابَ بيدِ أحدِ رجالِ بني تميم، وهو الحجاجُ بنُ بدرِ التميميِّ
السَّعديِّ، فلمَّا قرأ الإمامُ الحسينُ (عليه السلام) الكتابَ، دعا ليزيدَ، قائلاً: «ما لك آمنَكَ
اللهُ يَوْمَ الخَوْفِ، وَأَعَزَّكَ وَأَزْوَكَ يَوْمَ العَطَشِ».

ثمَّ أخذَ يزيدُ يتجهَّزُ للخروجِ للقاءِ الإمامِ ونُصرتِه، لكنَّ بما يؤسَفُ له أنَّ الإجراءاتِ الأُمْنِيَّةِ المتشدِّدةِ التي اتخذتها الحكومة المحليَّة في البصرة، فضلاً عن تسارعِ الأحداثِ، وسُرعةِ تحرُّكِ الجيشِ الأمويِّ، ولقائه الإمامَ قبل أن تصله أنصارُه من البصرة والكوفة، سارع في قتلِ الإمامِ (عليه السلام)، لذا فوجئَ يزيدُ النهشليُّ بمقتلِه (عليه السلام)، فجزَّعَ لذلكَ جزعاً شديداً.

أما بالنسبة إلى الحجاجِ بنِ بدرِ التميميِّ، فقد التحقَ بالإمامِ (عليه السلام)، وبقيَ معه حتَّى استشهدَ بينَ يديه في كربلاء (عليه السلام).

وهناكَ شخصيَّةٌ بصريةٌ لا نعلمُ شيئاً عن كفيَّةِ علمها بتحركِ الإمامِ الحسينِ (عليه السلام)، ولا كيفَ تمكَّنت من الخروجِ واللاحاقِ به (عليه السلام)، ذلكَ هو الهفهاف بنُ المهنَّد الأزديِّ الراسبيِّ، الذي خرج من البصرة، والتحقَ بالإمامِ الحسينِ (عليه السلام) في كربلاء، فوصلها في اليومِ العاشرِ بعد الظهر، فسألَ عن الإمامِ الحسينِ (عليه السلام) فقالتَ له جماعةُ ابنِ سعد: أما ترى رأسه فوقَ الرُّمَحِ، فانضى سيفه، وأخذ يقاتلهم قتالاً لم يشهده أحدٌ، بشهادةِ الإمامِ عليِّ بنِ الحسينِ (عليه السلام)، إذ قالَ (عليه السلام) عن شجاعته: «فما رأى النَّاسُ منذُ بعثَ اللهُ محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) فارساً - بعد عليِّ بنِ أبي طالبٍ (عليه السلام) - قتلَ بيده ما قتلَ».

وخلاصةُ القولِ إنَّ من استشهدَ مع الإمامِ الحسينِ (عليه السلام) من أهلِ البصرة هم تسعة^(١) فقط، خمسةٌ من عبد القيسِ، وواحدٌ من تميم، وواحدٌ من الأزد، وهم:

(١) يُغفل الكثيرُ من الباحثين ذكرَ فُعب بنِ عمرو النَّبَريِّ، وهو من استشهدَ مع الإمامِ

يزيدُ بنُ نُبيطِ العبدِيِّ وولداهُ عبدُ اللهَ وعبيدُ اللهَ، والأدهمُ بنُ أميَّةَ العبدِيِّ
البصريُّ، و عامرُ بنُ مسلمِ العبدِيِّ، وسالمُ مولىَ عامرِ بنِ مسلمِ العبدِيِّ،
وسيفُ بنُ مالكِ العبدِيِّ، البصريُّ، والحجاجُ بنُ بدرِ التميميِّ، السَّعديُّ،
والهفهافُ بنُ المهندِ الأزديِّ الراسبيِّ.

الحسين (عليه السلام) أهل البصرة، وقد ورد التسليمُ عليه في زيارة النَّاحِيَةِ المقدَّسة، ينظر: إقبال
الأعمال: ٧٨/٣، مستدركات علم رجال الحديث: ٦/٢٨١، ويُنظر: شهداءُ الطفِّ من
البصرة، إعدادُ مركز تراث البصرة: ص ٢٠.



دور المرأة البصريّة في النهضة الحسينيّة
ليلى النهشليّة ومارية العبدية أنموذجاً

(٤)



دور المرأة البصرية في النهضة الحسينية

بلى النهشلية ومارية العبدية نموذجاً

ياسين يوسف اليوسف - مركز تراث البصرة

ما لا شك فيه أن للمرأة دوراً رئيساً وأساسياً في الحياة، فهي الأم، والأخت، والزوجة، والمضحية، وهي الركيزة والدعامة الأساسية للبيت، ومنها تُصنع الرجال، وقد حفل تراثنا الإسلامي بالكثير من النماذج لتلك النساء اللواتي كان هنَّ الدور الكبير والمؤثر على الساحة الإسلامية.

والتراث البصري زاخرٌ بالعطاء والتضحيات من تلك النساء المؤمنات، فبالأمس القريب قدمت المرأة البصرية خيرةً أبناءها وشبابها الذين قصوا في سبيل الدفاع عن مبادئهم، وعقيدتهم ضدَّ بطش النظام البعثي، وطغيانه، وما يزال العطاء مستمرّاً، والتضحيات قائمةً، وبذل الأموال والأنفس من أجل الحفاظ على المقدسات، والسير بثبات في ركب النهضة الحسينية، مدراراً، وهذا ما سعى إليه الإمام الحسين (عليه السلام) في نهضته الإصلاحية، التي ارتكزت في مبادئها، وتحقيق أهدافها الإصلاحية، على دعامين وركيزتين اثنتين، الركيزة الأولى: قيادة الإمام الحسين (عليه السلام) ودوره في النهضة، وتضحيته، وتضحية الثلة المؤمنة معه، بكلِّ غالٍ ونفيس، حتى بذلوا أرواحهم وكلَّ ما يملكون في سبيل تحقيق أهداف النهضة، والركيزة الثانية، هي المرأة، ودورها الرئيس والإيجابي



فيها، فقد لعبت أدواراً مهمّةً وحيويّةً ساعدت في انتشار الثورة، وتحقيق غاياتها، ومما لا ريب فيه أنّ عقيلة الطّالبيّن زينب بنت عليّ بن أبي طالب (عليها السلام) كان لها الدور الرّياضي، والمشاركة الفاعلة في إنجاح النهضة الحسينيّة، ونصرتها الإمام الحسين (عليه السلام)، فقد وقفت بكلّ صلابيّة ورباطة جأشٍ، مُتدرّعةً بالصّبر والإيمان والاستقامة، صارخةً في وجه الظلم والظالمين، في وقتٍ عزّ فيه النّاصر من الرّجال، وتعدّدت أدوارها بدءاً من حضورها مع الإمام (عليه السلام) عند خروجه من المدينة، وسيره نحو كربلاء في ظروفٍ ومواقفٍ قلّما يصبرُ فيها الأشداء من الرّجال، خصوصاً عندما يعلمون بالواقع المحتوم الذي قدّر لهم، مروراً بتضحيتها بكلّ ما تملك بين يديّ إمام زمانها الإمام الحسين بن عليّ (عليه السلام)، فضلاً عن أنّها وقفت مدافعةً عن الإمامة المتمثّلة بالإمام زين العابدين (عليه السلام)، بعد شهادة سيّد الشهداء الإمام الحسين (عليه السلام)، وكان لدورها الإعلاميّ الأثر البالغ في الدّفاع عن أهداف النهضة الحسينيّة المباركة، واستمرّ عطاؤها وصبرها وشجاعتهُا من خلال خطاباتها التي وجّهتها إلى طغاة عصرها آنذاك، يزيد بن معاوية وعبيد الله بن زياد، فكانت كلماتها استمراراً لجذوة النهضة، وتمزيقاً لشموخ الطّواغيت، وتبيداً لسرورهم بنصرهم المزعوم، ومع كلّ هذه المواقف كانت صابرةً محتسبةً متزنةً غيرٍ جزوعٍ لما نزل بها من البلاء والاختبار الإلهي، على الرّغم من أنّها امرأةٌ تمتلك الرّقة والعاطفة، وهذا ما لم يحصل لامرأةٍ على امتداد التاريخ، ولم تفرط السيّدَةُ زينب (عليها السلام) بحجابها وعفتها، حتى في أصعب المواقف



التي مرّت بها، فذكرها المؤرّخون عندما قُتل الإمام الحسين عليه السلام بأنها عليها السلام وجاءت وهي تتعثر بأذيالها، حالها في ذلك حال أمّها الزّهراء عليها السلام، وكانت تردّ سيات الظالمين بيدٍ وتسترّ وجهها بالأخرى، حفاظاً على العفاف والحشمة.

كما كان لنساءٍ كثيراتٍ مواقفٌ عظيمةٌ، وأدوارٌ مشرفّةٌ، يكملُ اللسانُ عن وصفها، والقلمُ عن بيانِ حالها، شاركنَ في هذه الملحمة الرساليّة، والنهضة الإنسانيّة، منهنَّ على سبيلِ المثال لا الحصر «دلم بنت عمرو» زوجة زهير بن القين، التي أثّرت في زوجها لما كانت تحمله من عقيدة وإيمانٍ راسخين بأهداف الإمام الحسين عليه السلام ونهضته، فحملته على الانخراط ضمن قافلة الركب الحسيني، فكان له الدور الكبير في انتصار الدّم على السيّف، مع أنّه كان بعيداً عن هذا الخطّ، وكذلك أمّ وهب زوجة عبد الله بن عمرو الكلبي، تلك الشّهيدة الصّابرة المحتسبة، وطوّعة تلك المرأة الصّالحة التي عجزَ الرّجالُ أن يقوموا بما قامت به تُجّاه سفير الإمام الحسين عليه السلام إلى الكوفة، مسلم بن عقيل (رضوان الله عليه وعليها)، وغيرهن من النساء اللاتي سطرْنَ أروع صور البطولة والفداء، وسجّلن أسماءهنَّ على صفحات التاريخ بأحرفٍ من نور.

ليلي النهشليّة، وموقفها من نهضة الإمام الحسين عليه السلام:

لم تكن نساءُ البصرة غائبةً عن ساحة البذل والعطاء هذه، فقد برزت من بينهنَّ ليلي بنت مسعود بن خالد بن مالك بن ربيعي بن سلم بن جندل بن نهشل ابن دارم بن مالك بن حنظلة النهشليّة التميميّة، صاحبة الشرف



٤٤ مِنْ عَطَاءِ النَّهْضَةِ الْحُسَيْنِيَّةِ

الأصيل، التي اختارها أمير المؤمنين عليه السلام زوجةً له عند دخوله البصرة، وقد عُرِفَتْ قبيلتها بنو نهشل بالشجاعة والشهامة والكرم، منهم أخوها يزيد بن مسعود النهشلي، الذي حثَّ قومه وجَهَّز جيشاً لنصرة الإمام الحسين عليه السلام، ولم يعش عن نور الحقِّ، ويركن إلى الباطل، وهي إحدى الأزواج الأربع اللواتي بقينَ بعد استشهاد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

وقد شهدت واقعة الطَّفِّ وما جرى على آل الرسول صلى الله عليه وآله من مصائبٍ ومحنٍ، وشاركتهم في ذلك كله، صابرةً محتسبةً ذلك في سبيلِ الله، وقدمت ولديها محمداً الأصغر المكنى بأبي بكر، وعبيد الله، فداءً لخطِّ الإمام الحسين عليه السلام ونهضته، فكانت مثلاً للمرأة الصالحة المساندة للنهج الحسيني، وحريةً بنسائنا بل برجالنا أن تقتدي بها.

ماریةُ العبدیَّة، وموقفُها من نهضة الإمام الحسين عليه السلام :

ماریة بنت منقذ، أو سعید العبدیة - نسبة لقبيلة عبد القیس - والدُها منقذ بن النعمان العبدی، أحد حملةِ رايات عبد القیس مع أمير المؤمنين عليه السلام في حربه مع أصحابِ الجمل، وهي من النساءِ الوریعات، ولها مكانةٌ عالیةٌ، ومن ذوات الشرف في البصرة، أرملةٌ لشهید، وأمٌّ لشهداء قضاوا نحبهم في نصرة أمير المؤمنين عليه السلام في حرب الجمل في البصرة.



وعلى الرغم من أن مارية فقدت زوجها وأبناءها في طريق الحق، دفاعاً عن الإسلام، وفي ركب أمير المؤمنين (عليه السلام) إلا أنها بقَت مثلاً للصَّلابَة، والشَّجاعة ورباطة الجأش، فعندما علمت بخروج الإمام الحسين (عليه السلام)، واستنهاضه ضمير الأمة، ونهضته الإصلاحية، وأنه بعث رسالة إلى أشراف ورؤساء الأخماس في البصرة، يَسْتَحْتُمُّهم القيام، ويطلبُ منهم النَّصرة، وعلمت بتقاعسهم، وتباطؤهم في نُصرتِه، كان لها موقفٌ آخرٌ مغايرٌ، إذ استجابت دعوة الإمام الحسين (عليه السلام)، وفتحت دارها؛ لتكون ملتقى أنصاره (عليه السلام)، ومألفاً لشييعته وأتباعه في البصرة^(١)، في خطوة تُعدُّ معارضةً علنيَّةً لأجهزة السُّلطة الأمويَّة، متحديةً بذلك كلَّ الأحكام المفروضة، والظروف القاهرة، تحت سلطة الطَّغاة في المدينة. فكان يتردَّد على دارها شيعة الإمام الحسين (عليه السلام) ومُحبَّوه، ويتدارسون الأوضاع السياسيَّة التي تمرُّ بها الأمة الإسلاميَّة، وفي بيتها تُدار الحلقات النقاشيَّة، فكان مجلسها مدرسةً لتخريج الشُّهداء، إذ يذكُر أن من بين من كان يجتمع في دارها من الشيعة من التحق بالإمام الحسين (عليه السلام)، ونال شرف الشَّهادة كيزيد بن ثبيط العبدي، وولديه عبد الله، وعبيد الله، ومولاه عامر، وسيف بن مالك، والأدهم بن أمية، فكانت أنموذجاً للمرأة المساندة للدين، ولنهضة سيِّد الشُّهداء (عليه السلام) الإصلاحية.

(١) تذكُر بعض المصادر -أيضاً- أنها كانت تجلس على باب دارها صارخةً باكيةً غاضبةً، بسبب الموقف المتخاذل من البعض، وقد بذلت أموالاً لتسليح من اعتذر بحجة عدم المال والسلاح. ينظر: ثمرات الأعواد، علي بن الحسين الهاشمي النجفي: ١ / ١٦٩.

وما زالت البصرة تلدُّ من النساء مَنْ لهنَّ مواقفٌ كمواقفِ ليلِ النهْضِيةِ،
 وماريةِ العبديةِ، وغيرهنَّ من عظيماتِ الإسلامِ، اللواتي تسنَّمنَ قِمَمَ الخلودِ،
 واخترنَ جانبَ الحقِّ، والتحقنَ بركبِ الإمامِ الحسينِ (عليه السلام)، وكنَّ أنموذجاً يُحتذى
 به، ولم تزل البصرةُ تُقدِّمُ نماذجَ كماريةِ ولبلى في التضحيةِ والوعيِ والفداءِ،
 فالكثيرُ من نساتنا تحمَلُنَ جورَ الطواغيتِ وظلمهمُ، وقبعنَ في السُّجونِ المظلمةِ
 من أجل العقيدةِ والمبدأ الذي حملنَّهُ في الصُّدورِ، والكثيرِ منهنَّ قدَّمنَ الشهداءَ
 قرايينَ في سبيلِ الخطِّ الرِّساليِّ القويمِ، ونرى اليومَ الكثيرَ من مواكبنا ومآتمنا
 الحسينيةِ البصريةِ تُشرفُ عليها وتديرها نساءٌ بصرياتٌ واعياتٌ بأهدافِ نهضةِ
 أبي الأحرارِ، وسيِّدِ الشهداءِ الإمامِ الحسينِ بنِ عليٍّ (عليه السلام)، وسائراتٍ على نهجِهِ
 يبتغينَ فضلاً مِنَ اللهِ ورضواناً.

وَمُضَاتٌ مِنْ دَوْرِ السَّيِّدَةِ زَيْنَبَ  
فِي وَاقِعَةِ الطِّفْلِ

(٥)



وَمَضَاتٍ مِنْ دَوْرِ السَّيِّدَةِ زَيْنَبَ (ع)

فِي وَاقِعَةِ الطِّفْلِ

أ.د. رحيم حلو البهادلي

جامعة البصرة - كلية التربية للبنات

لقد أعطى دورُ السيِّدة زَيْنَبَ (ع) في واقعة الطِّفْلِ للنهضة الحسينية زخماً وديمومةً في تعبئة المجتمع الإسلاميِّ ضدَّ الظلمِ والطُّغيانِ في ذلك الوقت، واستكمالاً للدورِ الإصلاحيِّ الذي نهضَ به الإمامُ الحُسينُ (ع) في ثورته الخالدة، فعلى امتدادِ تاريخِ العُطاءِ توجدُ هنالك امرأةٌ من خلفهم تساندُهم، وتعاضدُهم، إمَّا علناً، أو في الخفاءِ، فالتراثُ الحسينيُّ زاخرٌ بالنساءِ المؤمناتِ المضحيَّاتِ من أجلِ القضيةِ الحسينيةِ، والتأملُ في ما قامت به السيِّدةُ زَيْنَبُ (ع) من دورٍ بطوليٍّ في واقعةِ الطِّفْلِ، يجعلنا ننساقُ إلى القولِ بأنَّ المرأةَ أدَّتْ ما عليها من دورٍ مشرفٍ، بل وفوقِ طاقتها، فلا نعلمُ عبرَ التاريخِ أنَّ امرأةً أدَّتْ هذا الدورَ كما أدَّته السيِّدةُ زَيْنَبُ (ع) في مثلِ هكذا موقفٍ، وأنها تستحقُّ على وَفْقِ تلكِ الرُّؤيةِ للأحداثِ أنْ نقولَ عنها إنَّها لعبتْ دوراً كبيراً في ثورةِ أخيها الإمامِ الحُسينِ (ع)، فكانت خيراً أنيسٍ، وكانت أفضلَ رفيقٍ، وكانت خيراً مدافعٍ عن حجةِ الله، ابنِ أخيها الإمامِ السَّجَّادِ (ع)، ونعمَ الأمينُ المؤمنُ على عيالاتِ الإمامِ الحُسينِ (ع)، وسبايا الطِّفْلِ.



ولكنَّ واقعَ الأحداثِ بعدَ انتهاءِ المعركةِ يُشيرُ إلى أنَّ السَّيِّدَةَ زَيْنَبَ (ع) لم تتوقَّفَ عندَ هذا الحدِّ فحسب، إنَّما يمكنُ القولُ إنَّ السَّيِّدَةَ زَيْنَبَ (ع) بدأتُ حقًّا من حيثُ استشهادهِ الإمامِ الحُسينِ (ع)، بدأتُ حقًّا لتكتمَلِ ما بدأه الإمامُ الحُسين (ع)، فما استشهادهُ الإمامِ الحُسينِ (ع) إلا بدايةٌ للدورِ الحقيقيِّ للسَّيِّدَةِ زَيْنَبَ (ع) في ذلك التحرُّكِ الحُسينيِّ المقدَّسِ .

إنَّ الثورةَ الحُسينيَّةَ لم تنتهِ باستشهادهِ الإمامِ الحُسينِ (ع) في ساحةِ المعركة، إنَّما بدأتُ حقًّا باستشهادهِ (ع)، فقد خرج من بعدِ استشهادهِ الكثيرُ من مناصريه، وشيعته، وآلِ بيته ممَّن كان يُطالبُ بدمه، أو الاقتصاص من قتلته، كثورةِ المختارِ بنِ أبي عبيدِ الثقفِيِّ، مثلاً، أو أنَّ ثورتهُ المقدَّسةَ أصبحتُ شعاراً لكلِّ مَنْ كانَ يريدُ النيلَ مِنَ الدَّولةِ الأمويَّةِ، فكانتُ ثوراتٌ كثيرةٌ جدًّا، منها الثورةُ العباسيَّةُ التي كانت ترفعُ شعارَ الرضا من آلِ محمَّد، وتلك الثوراتُ والحركاتُ كانت السببَ الرئيسَ في تصدُّعِ الدَّولةِ الأمويَّةِ، وسقوطها المبكرَ عام ١٣٢هـ على يدِ العباسيين، أو بمعنى آخر، لولا ثورةُ الإمامِ الحُسينِ (ع) لما سقطت تلك الدَّولةُ، وبتلك السَّرعَةِ.

وقد لا نغالي حينما نقولُ بأنَّ السَّيِّدَةَ زَيْنَبَ (ع) كانت أوَّلَ مَنْ بدأتُ ذلك الدورَ الجهاديَّ ضدَّ الأمويِّينَ بعدَ استشهادهِ الإمامِ الحُسينِ (ع)، وسارَ النَّاسُ من بعدها على هذه السَّيْلِ، ولكنها لم تكن تُحاربُ بسيفٍ، أو رُمحٍ، أو نبلٍ، إنَّما كانت تُقاتلُ بلسانها، وفصاحتها العلويَّةِ الهاشميَّةِ المعروفة، وهو سلاحُ



أَكثَرُ قُوَّةٍ مِنْ اسْتِخْدَامِ السَّيْفِ، فَحِينَمَا دَخَلُوا الْكَوْفَةَ فِي مَقَرِّ الْوَالِي الْأُمَوِيِّ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ، لَمْ تَدْخُلِ السَّيِّدَةُ زَيْنَبُ (ع) مَدْخَلَ الذُّلِّ وَالْهَوَانِ، حَاشَا تِلْكَ الْمَرْأَةَ الْعُلُويَّةَ الطَّاهِرَةَ مِنَ الذُّلِّ وَالْهَوَانِ، بَلْ دَخَلَتْ مَدْخِلاً غَيْرَ فِيهِ بِكَلَامِهَا (ع) الْمَوَازِينَ الْقَائِمَةَ آنَذَاكَ، مَا يَصِفُهُ لَنَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكَوْفَةِ، يُدْعَى بِشِيرِ بْنِ حُزَيْمِ الْأَسَدِيِّ، قَائِلاً: « وَنَظَرْتُ إِلَى زَيْنَبَ بِنْتِ عَلِيٍّ (ع) يَوْمَئِذٍ فَلَمْ أَرَ خَفِرَةً وَاللَّهِ أَنْطَقَ مِنْهَا، كَأَنَّهَا تُفْرِغُ عَنِ لِسَانِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (ع)، وَقَدْ أُوْمَأَتْ إِلَى النَّاسِ أَنْ اسْكُتُوا، فَارْتَدَّتِ الْأَنْفَاسُ، وَهَدَأَتِ الْأَجْرَاسُ، ثُمَّ قَالَتْ (ع): « الْحَمْدُ لِلَّهِ وَالصَّلَاةُ عَلَى أَبِي رَسُولِ اللَّهِ، أَمَا بَعْدُ: يَا أَهْلَ الْكَوْفَةِ، يَا أَهْلَ الْخَيْلِ وَالْغَدْرِ! أَتَبْكُونَ؟ فَلَا رِقَاتِ الدَّمْعَةِ، وَلَا هِدَايَةِ الرَّتَّةِ، إِنَّمَا مِثْلُكُمْ كَمِثْلِ الَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا، تَتَّخِذُونَ أَيَّامَكُمْ دَخَالًا بَيْنَكُمْ، أَلَا وَهَلْ فِيكُمْ إِلَّا الصَّلِيفُ النَّطِيفُ، وَالصَّدْرُ الشَّيْفُ؟ خَوَارُونَ فِي اللَّقَاءِ، عَاجِزُونَ عَنِ الْأَعْدَاءِ، نَاكِثُونَ لِلْبَيْعَةِ، مُضِيِّعُونَ لِلدَّمَةِ، فَبَيْسَ مَا قَدَّمْتُمْ لَكُمْ أَنْفُسَكُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ، وَفِي الْعَذَابِ أَنْتُمْ خَالِدُونَ، أَتَبْكُونَ؟ إِي وَاللَّهِ فَبَكُّوْا كَثِيرًا، وَاضْحَكُوا قَلِيلًا، فَلَقَدْ فُرِّمَتْ بِعَارِهَا وَشَنَارِهَا، وَلَنْ تَغْسِلُوا دَنَسَهَا عَنْكُمْ أَبَدًا، فَسَلِيلُ خَاتِمِ الرِّسَالَةِ، وَسَيِّدُ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمَلَاذُ خَيْرِ تَكِيمٍ، وَمَفْرَعُ نَازِلَتِكُمْ، وَأَمَارَةٌ مَحَجَّتِكُمْ، وَمَدْرَجَةٌ حَجَّتِكُمْ، حَدَلْتُمْ، وَلَهُ قَتَلْتُمْ؟ أَلَا سَاءَ مَا تَزْرُونَ، فَتَعَسَّأَ وَنَكَسَّأَ، فَلَقَدْ خَابَ السَّعْيُ، وَتَرَبَّتِ الْأَيْدِي، وَخَسِرَتِ الصَّفِيقَةُ، وَبُؤْتُمْ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ، وَضُرِبَتْ عَلَيْكُمْ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ، وَيَلْكُمْ أَنْدَرُونَ أَيَّ كَيْدٍ



لمحمّد فرّيتُم، وأيّ دم له سفكتُم، وأيّ كريمة له أصبتم؟ «لقد جئتم شيئاً إذاً، تكاذُ السّمواتُ يتنطّرُن منه، وتنشقُّ الأرضُ، وتخرُّ الجبالُ هدّاً»، ولقد أتيتُم بها خرّقاء شوهاء، طلاع الأرضِ والسّماء، أفعجبتُم أن مطّرت السّماء دماً؟!، ولعذابُ الآخرة أحرى، فلا يستخفّنكُم المهل، فإنّه لا يحفرّه البدار، ولا يُخاف عليه فوّت الثّار، كلا إنّ ربّك لبالمرصاد»، يقول الراوي: ثمّ سكّنت السيّدّة زينب عليها السلام بعد هذا الخطاب، فرأيتُ النّاس حيارى، قد ردّوا أيديهم في أفواههم، ورأيتُ شيخاً قد بكى حتّى اخضلت لحيته، وهو يقول:

كُهوْلُهُمْ خَيْرُ الكهُولِ، وَنَسْلُهُمْ إِذا عَدَّ نَسْلٌ لا يُخِيبُ وَلا يُخزى .

إنّ المتمعّن في هذه الخطبة التّاريخيّة الكبيرة في مجتمع أهل الكوفة، الذين كانوا بالأمر جنداً مع الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام أثناء خلافته، يقف على جملة أمور، أوّلاً: إنّها تكشف لنا أنّ ثورة جديدة بدأت توّأ، وثائرها السيّدّة زينب عليها السلام، أو قل: هي استكمالٌ للنهضة الحسينيّة المقدّسة، إذ لا شك أنّ السيّدّة زينب عليها السلام أرادت بتلك الخطبة إيقاظ الشّعورِ الوجدانيّ عند أهل الكوفة، الذين كانوا يوماً ما أتباعاً لوالدها أمير المؤمنين عليه السلام، وقد نجحت السيّدّة زينب عليها السلام في ذلك نجاحاً كبيراً، بعد أن أخذت تؤنّب أهل الكوفة؛ لخدانهم الإمام الحسين عليه السلام، وامتناعهم عن تقديم يد العون والمساعدة، وهو في أشدّ الحاجة لها، فكان خطبها قد أشعر أهل الكوفة أنّهم -حقاً- قد ظلّموا أخيها الإمام الحسين عليه السلام، ما دفعهم إلى المضيّ قدماً للتكفير عن ذنوبهم، وبدأوا بذلك القيام بالاشتراك



بسلسلةٍ طويلةٍ مِنَ الثوراتِ المتعاقبةِ على الدولةِ الأمويّةِ، تلكَ الثوراتِ التي كانت سبباً رئيساً في إضعافِ الدولةِ الأمويّةِ، ومن ثمَّ سقوطها المبكرَ عام ١٣٢ هـ، كثورةِ التّوابينَ، وثورةِ المختار بن أبي عبيدِ الثقفِيّ، وثوراتِ الموالي، وثورةِ زيد بن عليّ، بل حتّى الثورةِ العباسيّةِ كانت تنادي هي الأخرى بالمطالبةِ بدماءِ آلِ بيتِ الرسولِ ﷺ، والرّضى هُم.

وَمِنْ جانبٍ ثانٍ أرادتِ السيّدَةُ زينبُ ؑ أن تبيّنَ بخطبتها لعامةِ أهلِ الكوفةِ - وهم عارفونَ بذلك - أنّها ومَنْ كانَ معها في واقعةِ الطفِّ، هُم أهلُ بيتِ النبوّةِ والإمامةِ، الذينَ حَصَّهْمُ اللهُ عزَّ وجلَّ منذُ خَلَقَ الأرضَ بتلكَ المكانةِ المشرفّةِ، وهي بذلكَ أوصلتَ رسالةً إلى الرأْي العامِّ في الكوفةِ خاصّةً، والعِراقِ عامّةً، أنّ مَنْ قاتَلَهُمْ هُم خوارِجُ الدّينِ الإسلاميِّ حقّاً، هُم زنادقةُ الإسلامِ، هُم كَفَرَةُ الدّينِ والمِلّةِ، هُم المرتدّونَ حقّاً عَنِ الإسلامِ والمسلمينَ، هُم الطُّلُقَاءُ الذينَ أعتَقَهُمُ الرسولُ ﷺ يومَ فتحِ مَكَّةَ عام ٨ هـ، وبذلكَ أصبحَ النّاسُ في العِراقِ يميّزُونَ المسلمينَ المؤمنينَ حقّاً، مِنَ المتظاهرينَ بهِ مِنَ الأمويّينَ، وأتباعِهِم، سواءً في العِراقِ، أم في بلادِ الشّامِ .

كما بيّنتِ السيّدَةُ زينبُ ؑ في خطبتها أنّها كانت على قدرٍ كبيرٍ مِنَ الشّجاعةِ، وأنّها على الرّغمِ من كونها أسيرةً، وفي موضعٍ لا يُحسدُ عليه، كانت امرأةً اتخذتَ موضعَ القُوّةِ بدلاًً من موضعِ الضّعْفِ.. اتخذتَ موقعَ المرؤوسِ بدلاًً من موقعِ التابعِ.. اتخذتَ موضعَ المرشدِ بدلاًً من موضعِ المتلقّيِّ، اتخذتَ موضعَ المظلومِ



بدلاً من موضع الظالم.. اتخذت موضعاً أرادت به أن تبيّن لعامة أهل العراق أنّها امرأة، وأسيرة، وغريبة، ووحيدة، ومع ذلك كانت تمتلك كلّ مقومات القوّة والشجاعة، فأرادت بذلك إيقاظ شعور أهل العراق للقيام بثورة كبيرة ضدّ الأمويين، ثورة إن عرف أولها، فقد لا يعرف آخرها، وفعلاً تحقّق لها ذلك بقيام أهل العراق بثورات متعدّدة ضدّ الحُكم الأمويّ، كما أسلفنا .

وزادت السيّدة زينب (عليها السلام) من صلابة موقفها أمام أهل العراق حينما شاهدوها تُهينُ عبيد الله بن زياد والي الكوفة، يومذاك في مجلسه - ومن يستطيع منهم ذلك؟ - فقد أراد ابن زياد أن يبيّن للناس أنّهم خوارج عن الدين والدولة، لكن السيّدة زينب (عليها السلام) وقفت بكلّ شجاعة بوجه ابن زياد حينما قال لها: « الحمد لله الذي فصّحكم وقتلكم، وأكذب أحدوثكم»، فردّت عليه السيّدة زينب (عليها السلام) بكلّ ثقة وشجاعة ما نصّه: « الحمد لله الذي أكرمنا بمحمّد، وطهرنا تطهيراً، إنّما يفضح الله الفاسق، ويكذب الفاجر»، ثمّ قالت حينما سألها عن حال من قُتل من أهل البيت في الواقعة، قالت: « كُتِبَ عليهم القتل، فبرّزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاجون إليه وتخصمون عنده .

هذي هي عقيلة الطالبين، وفخر المخدرات، وابنة سيّد الوصيين، وإمام المتّقين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)، ابنة الرسالة والأنبياء، ابنة البضعة الزهراء، ستبقى تزلزل عروش الطّغاة، فها هي في السّام، وخوارج عصرنا تتساقط بفضلها، وبفضل الدّماء الزكيّات بكرىلاء.

أهمُّ المواقعِ الجغرافيَّةِ في مسيرة الإمامِ الحُسينِ (عليه السلام)
بينَ مكَّةَ وكرِبلَاء

(٦)



أهمُّ المواقع الجغرافيَّة في مسيرة الإمامِ الحُسينِ عليه السلام بين مَكَّةَ وكرِبلَاء

أ.د عبد الإمام نصّار ديري

كليَّة التربية للعلوم الإنسانيَّة - قسم الجغرافيَّة

عبر الامتداد الصحراويَّ الكبير لصحراء شبه الجزيرة العربيَّة، وفي ٨ ذي الحجة سنة ٦٠هـ (١٠ / ٩ / ٦٨٥ م)، بدأت أعظمُ رحلةٍ في التاريخ، رحلةُ الإباءِ والشموخ، ورحلةُ الحقِّ ضدَّ الباطل، رحلةٌ كانت نتائجها معروفةً، ولكنَّ الإيمانَ بالمبادئِ كانَ أقوى.

بلغت المسافةُ التي قطعها الإمامُ الحُسينُ عليه السلام (١٤٧٠ كم)، واستغرقت الرحلةُ (٢٣) يوماً، إذ انتهت في ٢ محرّم سنة ٦١هـ (٣ / ١٠ / ٦٨٠ م)، لتبدأَ رحلةُ الخلود.

تتميَّز صحراء شبه الجزيرة العربيَّة بقساوةِ ظروفها المناخيَّة والبيئيَّة، بحكم موقعها في المنطقة المداريَّة، وشبه المداريَّة، فضلاً عن طبيعة وسائل النقل المعتمِدة على الحيوانات، ما جعلَ من رحلة الإمامٍ تأخذُ خطاً معيَّناً، إذ تتوفَّر مصادر الماء بشكلٍ خاصٍّ.

يتَّضحُ من التتبُّع الجغرافيِّ أنَّ خطَّ الرحلةِ انحصَرَ بينَ وادي الرِّمَّة من جهةٍ، وبينَ حائل والمدينة المنورة من جهةٍ أخرى، وأثَّمتها دخلت العراق من حدوده



الجنوبيّة الغربيّة.

مرَّ الإمامُ الحُسينُ عليه السلام خلالَ مسيرته بـ (٣٨) موقِعاً، وكانَ مرورُ الإمامِ عليه السلام في بعضِها سريعاً، فيما استقرَّ في بعضِها الآخرِ للرَّاحةِ والتزوُّدِ بالمياه؛ لذلكَ شملتِ المعلوماتُ الجغرافيَّةُ (٢٧) موقِعاً فقط، وهي:

- التنعيمُ: وهو وادٍ في شرقِ مكَّة، يبعدُ بـ ١٣ كم، ويبعدُ عن المسجدِ الحرامِ ٦ كم، وسُمِّيَ بهذا الاسم؛ لوجودِ جبلِ الناعمِ القريبِ منه.

- وادي العقيق: يقعُ غربَ مكَّة، سُمِّيَ نسبةً إلى جبلٍ صغيرٍ فيه، سكنه الإمامُ عليه السلام، وصولاً إلى المنطقةِ التالِيَةِ، (ذاتِ عِرق).

- ذاتُ عِرق: هي منطقةٌ على طريقِ مكَّة، يدخلُ منها العراقيُّون، توقَّفَ فيها الإمامُ عليه السلام مدَّةً يومين.

- الصَّفاح: منطقةٌ تقعُ شمالَ الطريقِ بينَ مكَّة وكرِلاء، وتبعدُ عن المسجدِ الحرامِ بحدودِ ٢٨ كم، والصَّفاحُ هي الأرضُ المجاورةُ لسفحِ جبلٍ، وفي هذه المنطقةِ التقى الإمامُ عليه السلام الشاعرَ الفرزدق.

- الغمرةُ: منطقةٌ تقعُ في طريقِ مكَّة إلى العراق، وهي أرضٌ منخفضةٌ، يغمُرُها الماءُ، ومعناها الأصليُّ محلُّ اجتماعِ النَّاسِ، وتراكمُ الأشياءِ.

- المعدنُ: منطقةٌ بينَ مكَّة والعراق، مرَّ بها الإمامُ عليه السلام.

- العُمق: منطقةٌ يسكنُها بني غطفان بينَ مكَّة والعراق، وهي منطقةٌ ذاتُ آبارٍ وعُيونٍ.

- السَّلِيلِيَّةُ: منطقةٌ على طريقِ مَكَّةَ والعراق، وهو وادي لقبيلة غطفان، وعُرِفَت هذه المنطقة باسم (سليل بن زيد)، فيها ماءٌ وآبارٌ كثيرة.

- النَّقْرَةُ: منطقةٌ على طريقِ مَكَّةَ إلى العِراق، تقعُ على مفترقِ طُرُقٍ، فيها آبارٌ وبرك مياهٍ.

- الحَاجِزُ أو الحَاجِرُ: منطقةٌ تقعُ بينَ مَكَّةَ والعراق، وملتقى طريقي الكوفة والبصرة، عند المسيرِ إلى المدينة، ومعنى الحاجز، الموضعُ الذي تُحَجَّرُ فيه المياه، وفي هذه المنطقة تسلَّم الإمامُ (عليه السلام) كتابَ مسلمِ بنِ عقيلٍ (عليه السلام) من الكوفة.

- أَجْفَرُ: وتقعُ على أطرافِ الكوفة، ومعناها البئرُ الواسعة، فيها ماءٌ وشجرٌ كثيرٌ.

- الحُزَيْمِيَّةُ: منطقةٌ تقعُ على الطريقِ بينَ مَكَّةَ والكوفة، سُمِّيت نسبةً إلى حُزَيْمَةَ بنِ حازم، تكثُرُ فيها المياه والأشجار والدُّور.

- أَقْسَاسُ: اسمُ قريةٍ في الصَّحراءِ قربَ الكوفة.

- بُسْتَانُ ابنِ مَعْمَرٍ: وهو بستانٌ يجمعُ وادي نخلة اليمانيَّة، ووادي نخلة الشاميَّة.

- زَرُودُ: هي منطقةٌ على طريقِ الكوفة، أرضٌ منبسطةٌ، رملها حمراء، غيرُ متماسكةٍ، وهي امتدادٌ طبيعيٌّ لصحراءِ التتفون، وبما أنَّ أرضها رمليةٌ، فإنَّها تبتلعُ الماءَ؛ لذلك سُمِّيت بهذا الاسم (زرود) أي البالوعة، وفي هذه المنطقة التقى الإمامُ (عليه السلام) زهير بن القين البجلي (عليه السلام)، وأخبرَ بمقتلِ مسلمِ بنِ عقيلٍ،



وهانيء بن عروة رضي الله عنه.

- الثَّعْلَبِيَّةُ: منطقةٌ قرب الكوفة مرَّ بها الإمام عليه السلام وهو في طريقه إلى كربلاء، التقى فيها بالطرماح، وأسلمَ فيها رجلٌ نصرانيٌّ وأمه.

- الشَّقِيقُ: منطقةٌ قُربَ الكوفة، كانت لبني أسدٍ، فيها بئرٌ ماءٍ، وبركةٌ، وكانت تنزلُ بها القوافلُ التجاريَّةُ.

- زُبالة: منطقةٌ على طريق الكوفة، ومعناها الموضع الذي يجتمع فيه الماء.

- بَطْنُ الْعَقْبَةِ: ومعناها الجبل الممتد، هي منطقةٌ على طريق الكوفة.

- الْقَاعُ: منطقةٌ على طريق الكوفة، تقعُ بينَ زُبالة والعقبة، أرضُها سهلةٌ، وفيها ماءٌ ودور، وتنزلُ فيها القوافلُ.

- واقِصَّةُ: منطقةٌ تقعُ بينَ مكَّة والكوفة، وتبعدُ عن الكوفة مسيرة ثلاثة أيام، وقد مرَّ بها الإمام عليه السلام في مسيره إلى كربلاء.

- شَرَّافُ: ومعناها الموضعُ المرتفعُ، وتقعُ على طريق مكَّة والكوفة، وهي

منطقةٌ يكثرُ فيها الماء والأشجار، وفي هذه المنطقة أغلقَ الحرُّ بن يزيد الرياحي الطريقَ على الإمام الحسين عليه السلام.

- ذو حُسَمٍ: هي منطقةٌ بينَ مكَّة والكوفة، فيها الجبل المسمَّى بحُسَمٍ، اتجه

إليها الإمام عليه السلام عندما بدأت تظهرُ بوضوحٍ طلائعُ جيشِ الكوفةِ القادمِ لقتاله.

- البِيضَةُ: هي منطقةٌ بينَ واقِصَّة وأرضِ المهجانات، وصلها الإمام عليه السلام

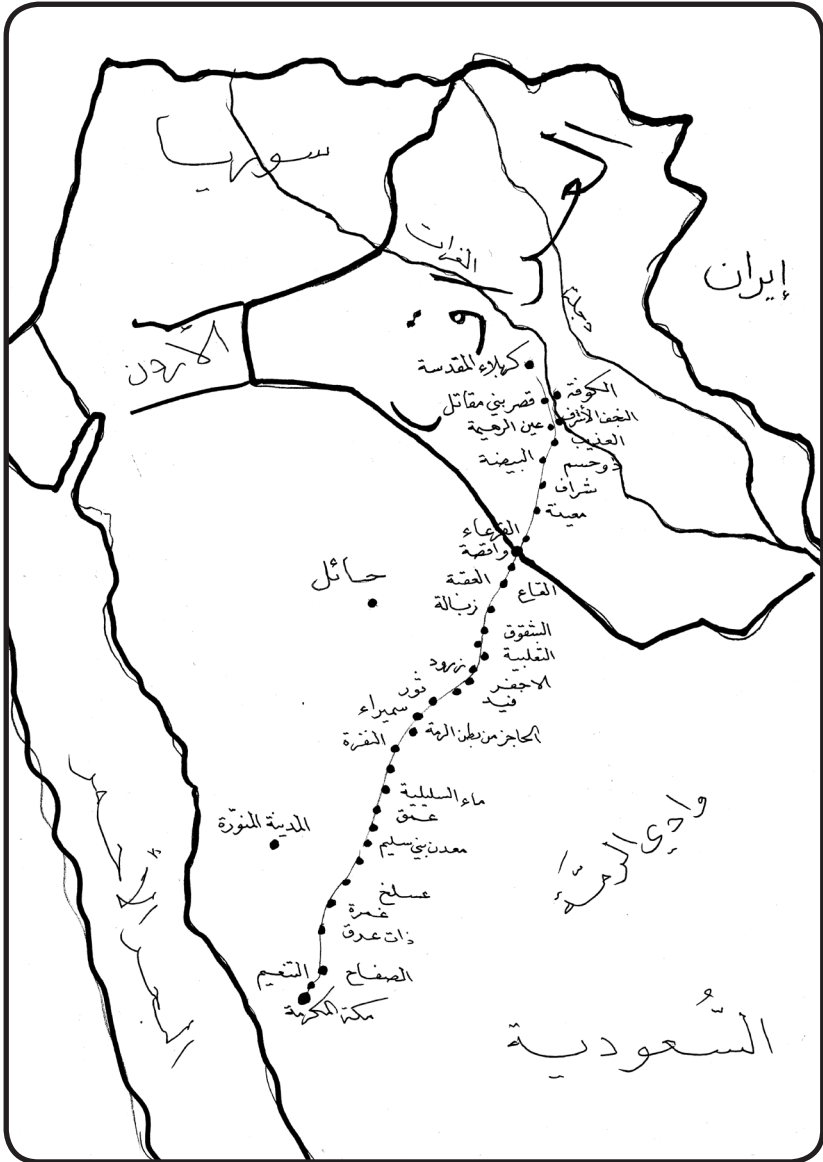
عندما سلك طريقاً آخرَ غير الطريق الذي كان يسلكه، إذ تياسَرَ عن طريق العُدَيْبِ والقادسيَّةِ.

- عُذَيْبُ الْمُهْجَانَاتِ: مَنْطِقَةٌ قَرَبَ الْكُوفَةِ، سُمِّيَتْ بِالْعُذَيْبِ لِكَثْرَةِ الْمَاءِ الْعَذْبِ الْمَوْجُودِ فِيهَا، وَهِيَ لِبَنِي تَيْمِمْ، وَتَقَعُ بَيْنَ الْقَادِسِيَّةِ وَالْمَغِيثَةِ، وَفِي هَذَا الْمَوْضِعِ وَرَدَ كِتَابُ ابْنِ زِيَادٍ إِلَى الْحُرِّ يَأْمُرُهُ بِالتَّضْيِيقِ عَلَى الْإِمَامِ عليه السلام ، وَمَنْعِ قَافِلَتِهِ مِنَ السَّيْرِ.

- قَصْرُ مُقَاتَلٍ: هِيَ مَنْطِقَةٌ تَقَعُ بَيْنَ مَكَّةَ وَكِرْبَلَاءَ، وَهِيَ قَصْرٌ لِمُقَاتَلِ بْنِ حَسَّانَ، وَتَقَعُ بَيْنَ عَيْنِ التَّمْرِ وَقَطْقَطَانَةَ.

- كِرْبَلَاءُ: هِيَ الْمَحْطَّةُ الْأَخِيرَةُ فِي مَسِيرَةِ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ عليه السلام ، وَنَزَلَ عليه السلام جَنُوبَهَا عَلَى بَعْدِ ٣ كِمٍ شَرْقًا، وَ٢ كِمٍ جَنُوبًا.

سَارَ الْإِمَامُ عليه السلام خِلَالَ مَسِيرَتِهِ بِمَعْدَلِ سُرْعَةٍ مَقْدَارُهَا (٩١، ٦٣ كِم/يَوْمٍ) ، وَأَكْبَرُ مَسَافَةِ قَطْعِهَا فِي الْيَوْمِ الْوَاحِدِ هِيَ (١٤٤ كِم)، وَأَقْلُ مَسَافَةٍ هِيَ (١ كِم) بَيْنَ نَيْنَوَى وَالطَّفِّ.



من أقدم الحسينيات وأشهرها
في مدينة البصرة

(٧)



من أقدم الحسينيات وأشهرها

في مدينة البصرة

د. عبد الجبار عبود الحلبي

جامعة البصرة - الإدارة والاقتصاد

لكل أمة إرث حضاريٌّ وهويَّةٌ خاصَّةٌ بها، وقد دأبت الشعوبُ على إبراز تلك المعالمِ والمنجزات؛ لتعطيَ انطباعاً عن مكانتها وهويِّتها، والتراثِ الإسلاميِّ البصريِّ زاخراً بالعطاء، إذ للبصرة مكانةٌ مميَّزةٌ في التاريخ الإسلاميِّ عامَّة، وفي التراثِ الحسينيِّ خاصَّة، فهي إحدى الحواضر الإسلاميَّة التي خرَّجت الكثيرَ من العلماء، ومدرسةً من المدارس الفكرية التي كان لها دورٌ مميِّزٌ، ولها بعدٌ مواقفٌ مشرَّفةٌ مع أهل البيت (عليهم السلام)، وقبيلة عبد القيس، وبكر بن وائل، كان لهما موقفٌ مساندٌ للإمام عليٍّ (عليه السلام) في معركة الجمل، ومنها تقدُّمُ عدَّةٍ من أصحاب الإمام الحسين (عليه السلام)، فبدلوا أنفسهم دونه (عليه السلام)، ولعلَّ ما يميِّزُ البصرةَ عن بقية المدن الإسلاميَّة، وفي القضية الحسينية بالذات، أن آخر رجلٍ استشهد من أصحاب الحسين (عليه السلام) هو من أهلها، حسب ما ذكرته المصادرُ الموثوقة، إذ إنَّ (الهفهاف بن المهند الراسبي) آخرُ من وصلَ إلى أرضِ المعركة، إذ ارتحلَ من البصرة ليلتحقَ بركبِ الإمام الحسين (عليه السلام)، لكنَّ بعدَ المسافة لم تسعفه في الوصولِ مبكراً، إذ وصلَ بعدَ أن انتهت معركة الطفِّ، فسألَ عن الإمامِ

الحُسَيْن (عليه السلام)، فقيل له: أَمَا ترى رَأْسَهُ على الرُّمَحِ!! فتفاجأ بالحدَثِ الجَلَلِ، وراح يَضْرِبُ بِسَيْفِهِ الأَرَادِلَ مِنَ الأُمُويِّينَ، فَقَتَلَ مَنْ قَتَلَ، ثُمَّ اسْتَشْهَدَ.

وقد استمرَّ الوِلاءُ الحُسَيْنِيُّ إلى وَقْتِنَا الحَالِي، فَالكَثِيرُ مِنْ تَرَاثِ البَصْرَةِ، حَافِلٌ بِالمَعَالِمِ، وَالمَجَالِسِ، وَالشَّخْصِيَّاتِ الحُسَيْنِيَّةِ، الَّتِي كَانَتْ لَهَا قَدَمٌ صَدِيقٌ مَعَ الإِمَامِ الحُسَيْنِ (عليه السلام)، وَسَجَّلُوا أَسْمَاءَهُمْ بِأَحْرَفٍ مِنْ نُورِ عَالَمِ التَّارِيخِ.

مِنْ هُنَا امْتَاذَتْ مَدِينَةُ البَصْرَةِ بِكَثْرَةِ مَجَالِسِ العَزَاءِ عَلَى الإِمَامِ الحُسَيْنِ (عليه السلام) الَّتِي سُمِّيَتْ فِيهَا بَعْدَ بِالحُسَيْنِيَّاتِ.

وَفِي هَذِهِ المَقَالَةِ سَنُوجِزُ ذِكْرَ أَهَمِّ تِلْكَ الحُسَيْنِيَّاتِ وَأَقْدَمَهَا، وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّا قَدْ لَانْفِي بِالعَرَضِ المَطْلُوبِ، إِذْ لَا يَتَسَعُ المَجَالُ لَذِكْرِ جَمِيعِ تِلْكَ الحُسَيْنِيَّاتِ، وَمَا تَلَطَّفَ الإِشَارَةُ إِلَيْهِ أَنَّ فِي البَصْرَةِ مَقَهَى أُسِّسَتْ مِنْذُ ثَلَاثِينَ القَرْنَ المَاضِي، يَأْتِي إِلَيْهَا خُطْبَاءُ المَنْبَرِ الحُسَيْنِيِّ، تَقَعُ فِي سُوْقِ المَقَامِ، فَيَذْهَبُ إِلَيْهَا أَصْحَابُ الحُسَيْنِيَّاتِ قَبْلَ حُلُولِ عَاشُورَاءَ لِلاتَّفَاقِ مَعَ الخُطِيبِ (القَارِي)، وَمَعْظَمُ هَؤُلَاءِ الخُطْبَاءِ هُمُ مِنْ مَدَنِ النَجَفِ، كَرِبْلَاءَ، الدِّيوانِيَّةِ، السَّهَاوَةِ، وَهَذِهِ الحُسَيْنِيَّاتُ كَمَا يَأْتِي:

- ١- حُسَيْنِيَّةُ الشُّيُوخِ: تَقَعُ فِي نَاحِيَةِ النُّشُوءِ - شَطِّ العَرَبِ، أُسِّسَتْ فِي ثَلَاثِينَ القَرْنَ العَاشِرِينَ، أَشْهُرُ الخُطْبَاءِ فِيهَا المَلَّا عَبْدِ الحَيِّ المَلَّا مُحْسِنِ.
- ٢- حُسَيْنِيَّةُ الحَاجِّ جَمِيلِ مِيرْزَا حَمْزَةَ: تَقَعُ فِي مَحَلَّةِ بَرِيهَةَ، قَرِبَ المَدْرَسَةِ الإِيرَانِيَّةِ آنَ ذَاكَ، أُسِّسَتْ فِي نَهَايَةِ الأَرْبَعِينَاتِ مِنَ القَرَنِ المَاضِي، وَأَشْهُرُ الخُطْبَاءِ فِيهَا الشَّيْخُ كَاطِمُ السَّهَاوِيِّ (حَامِلُ مَرُوحَةِ الخُوصِ).



وكانت تُقام بعدَ قراءةِ مقتلِ الإمامِ الحسينِ (عليه السلام) وقتِ العصرِ (تشابيه)، وهي من أشهرِ التشابيه في شطِّ العرب، وربّما في البصرة، إذ يتمُّ تشبيهُ المعركةِ بينَ أصحابِ الإمامِ الحسينِ (عليه السلام)، والجيشِ الأمويِّ بصورةِ دراميّةٍ - تراجميّةٍ، حتى أنّ النّسوةَ في المنطقةِ يشتدُّ تأثرهنَّ، وقد يبقى بعضهنَّ دونَ عشاءِ حُزناً والمأماً.

٣- حسينيّةُ الفريْدون: تقعُ في جزيرةِ الفيحاء - شطِّ العرب أسّست في العام ١٩٣٥م، أشهرُ الخطباءِ فيها، الشّيخُ محمّد حسين.

٤- حسينيّةُ الحلاف: تقعُ في محلّةِ المفتيّة، أسّست في ثلاثينيّاتِ القرنِ العشرين، أشهرُ الخطباءِ فيها الشّيخُ محمّد عليّ الحلفيِّ، مديرُ مدرسةِ محمّد الجوادِ الدينيّةِ حالياً. (في النّجف الأشرف).

٥- حسينيّةُ الحاج (جيتا باي كوكل): تقعُ في محلّةِ الخندق - الدّواسة، أسّست في أربعينيّاتِ القرنِ الماضي، مؤسّسها الحاج (جيتا) الهنديّ الجنسيّة، أعدمه النّظامُ المباد في العام ١٩٧٣م بتهمةِ التّجسسِ ظلماً؛ لأنّه من محبّي أهل البيت (عليهم السلام)، وأشهرُ الخطباءِ فيها الشّيخُ أحمد الوائليّ رحمه الله.

٦- حسينيّةُ الحاج داود العاشور: أسّست في الثلاثينيّاتِ من القرنِ العشرين، في قضاء (أبي الخصيب)، أُعيدَ نشاطها وترميمها في عام ١٩٩١م، قرأ فيها عددٌ من القراء، ونشطت الحسينيّة بعد سقوط النّظام البعثي.

من قرائها الشّيخ مرتضى الشاهروديّ، السيّد محمّد باقر الفاليّ، والشّيخ جعفر الإبراهيميِّ، وغيرهم.

٧- حسينيّةُ الحاج (أبو خضير): تقعُ في محلّةِ الرّباط الكبير، أسّست قبل

العام ١٩٥٠م، والقراء فيها كثيرون، تُرِكَت لأسباب معيّنة في نهاية السبعينيات من القرن الماضي.

٨- حسينية الحاج علي مشيمش: أُسِّسَتْ في الخمسينيات من القرن الماضي، من الخطباء المشهورين فيها السيّد مير محمد القزويني رحمته.

٩- حسينية المريد القديم، في الزبير - المريد القديم، أُسِّسَتْ عام ١٩٥٦م، وتعرّضت للكثير من المضايقات من قبل النظام، فأغلقت، وأُعيد فتحها وممارسة أنشطتها في عام ١٩٩٦م تقريباً، إذ أُقيم فيها أول مهرجان (مولد) بمناسبة ولادة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام في أيام اللانظام الحاكم، عام ١٩٩٨م، ولعلّه الأول من نوعه في المحافظة، وربّما البلد، وماتزال أنشطتها عامرة.

١٠- حسينية سيّد داود: نهر خوز - أبو الخصيب - أُسِّسَتْ سنة ١٩٥٧م.

١١- حسينية الحاجة خديجة: في محلّة العباسية، أُسِّسَتْ سنة ١٩٦٤م على شارع الجزائر (جانب العباسية)، أشهر خطبائها السادة آل شبر.

١٢- حسينية أهل البيت (الخلافة سابقاً): أُسِّسَتْ في العام ١٩٦٥م، محلّة العالية: أشهر الخطباء فيها: الشيخ محمد رضا الحلفي، والسيد عزيز الشّرع رحمته.

١٣- حسينية السهلاني: محلّة حيّ الحسين (الحياينة)، شارع التأميم، أُسِّسَتْ سنة ١٩٧٢م، أشهر القراء فيها الشيخ شريف أبو علي رحمته.

ولم تنطرق إلى الجوامع في البصرة؛ لأنّ ذلك خارج نطاق الموضوع على الرّغم من أنّ هذه الجوامع تُقام فيها التعزية على الإمام الحسين عليه السلام.

المنبرُ الحُسَيْنِيُّ وتأثيرُه في الواقعِ البصريِّ

(٨)



المنبر الحسيني وتأثيره

في الواقع البصري

هاني نمر - مركز تراث البصرة

على الرغم من الظروف الصعبة التي مرت بها البصرة خصوصاً والعراق عموماً، سواء كانت السياسية منها أم الاجتماعية، فإنها لم تستطع أن تؤثر على انتشار ظاهرة المنبر الحسيني، أو تقضي عليه، إذ بات وجوده وديمومته مُتصّلين بديمومة الحياة في الأوساط الإسلامية الشيعية، فقد شاعت القدرة الإلهية أن يستمرّ المآتم الحسيني وأن يدوم، وأن لا يقتصر على حقبة زمنية معينة، وأن لا ينضبَ معيّنهُ أو يتلاشى، لما له من دورٍ نهضويّ كبيرٍ امتدَّ مع تاريخ الأمة الإسلامية والإنسانية جميعاً، فقد اكتسب المنبر الحسيني قُدسيّته هذه منذ نشأته الأولى بُعيد استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) عام ٦١هـ، عندما أخذ الإمام زين العابدين (عليه السلام) ونساء أهل البيت (عليهم السلام) سبايا إلى الكوفة والشّام، فصار الإمام زين العابدين (عليه السلام) وعمّته العقيلة زينب (عليها السلام) يخطبون في الناس في كلّ مدينة حطّوا فيها، لبيّنوا الحقائق الأليمة للواقعة، وقد اكتسب قُدسيّته أيضاً ممّا وردَ من روايات وأخبار وممارسات عن الأئمّة (عليهم السلام)، التي بلغت حدّ التواتر، وحثّت الشيعة على إقامة مجالس العزاء للإمام الحسين (عليه السلام) والبكاء عليه، ومنها ما ورد عن الإمام زين العابدين (عليه السلام) أنّه قال: «آبَا مؤمن دمعت عيناه لقتل الحسين



٧٢ مِنْ عَطَاءِ النَّهْضَةِ الْحُسَيْنِيَّةِ

ابن علي دمعاً حتى تسيلَ على خدّه بؤاهُ اللهُ بها في الجنةِ عُرفاً يسكنُها أحقبا،
وعن أبي هارونِ المكفوف، قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقال لي: أنشدني،
فأنشدته، فقال: لا، كما تنشدون، وكما ترثيه عند قبره، قال: فأنشدته:

أمرُّر على جدِّ الحسينِ فقل لأعظمه الزكِيَّة
قال: فلما بكى أمسكتُ أنا، فقال: مُر، فمررتُ، قال: ثمَّ قال: زدني زدني،
قال: فأنشدته:

مريمُ قُومي فاندُبِي مولاكِ وعلى الحسينِ فأسعدي ببيكِ
قال: فبكي وتهايج النساء، قال: فلما أن سكتنَ، قال لي: يا أبا هارون من
أنشد في الحسين عليه السلام فأبكي عشرة فله الجنة، ثمَّ جعل يُقَصِّصُ واحداً واحداً،
حتى بلغ الواحد، فقال: من أنشد في الحسين فأبكي واحداً فله الجنة، ثمَّ قال:
من ذكره فبكي فله الجنة، ومن تلك الوصايا وغيرها أخذ الشيعةُ مشروعيَّتهم
في الحفاظ على استمراريَّة المنبر الحسينيِّ بين أوساطهم.

ظلَّ المنبرُ الحسينيُّ عطاءً يتجدد، ومعيناً لا ينضب، على الرغم من تلك
الصَّعاب والموانع، التي اعترضت مسيرته، ومنها تعاقب الحكومات الظالمة
على العراق - والبصرة بشكلٍ خاص - التي كان همُّها القضاء على ظاهرة المنبر
الحسينيِّ، لما حقَّقه من أهدافٍ استراتيجيةٍ إيجابيةٍ على الواقع منذ تأسيسه، إذ
ترجم المنبر الحسينيُّ ثورة الإمام الحسين عليه السلام ورسالته العظيمة، مبيناً مبادئها
الثورية والأخلاقية والإنسانية السامية، التي أفضت مضاجع الظالمين وأرقتهم.



برز في البصرة خطباء أكفأ، امتلكوا وعياً دينياً واسعاً، ومعرفةً علميةً متنوّعةً، ومن بين أولئك الخطباء الأفضاذ، السيّد مهدي الخطيب، والشيخ محمد حسن الدكسن، والشيخ حسن فرج الله، والشيخ عبد الأمير المنصوري، وغيرهم، وهم من علماء البصرة وأعلامها، كان لهم قصب السبق في إحياء شعائر العزاء لأبي عبد الله الحسين (عليه السلام) في البصرة، تمكّنوا خلالها من رفع المستوى الفكري والمعرفي للناس في المسائل الإسلامية العامة والخاصة.

وقدّم إلى البصرة أيضاً من باقي مدن العراق الأخر، الكثير من الخطباء الأعلام، نذكر منهم، الشيخ عبد الحسين الحجار، والشيخ سلمان الأنباري، والشيخ محمد علي القسام، وعميد المنبر الحسيني الشيخ الدكتور أحمد الوائلي (رحمهم الله جميعاً)، فقد صدّحت حناجرهم بذكر الإمام الحسين (عليه السلام)، وبيّنوا أهداف ثورته النبيلة على منابر المساجد والحسينيات البصرية.

أدى ارتقاء المنابر من خطباء نوعيين يتمتّعون بإمكانات علمية مرموقة إلى اهتمام الطبقة الواعية من رواد المنبر الحسيني بالخطيب الناقد والمعالج لمشاكل البلاد والعباد، فصاروا يقصدونه طلباً للمعرفة، وانتهالاً للثقافة والأفكار الإسلامية الأصيلة، إذ لم يكتفِ خطيب المنبر الحسيني برثاء الإمام الحسين (عليه السلام)، والاقترار على الجانب العاطفي للمصيبة فقط، ولم يقتصر -أيضاً- على جانب الوعظ والإرشاد الديني فحسب، بل راح يُعالج مختلف شؤون حياة الإنسان المسلم واهتماماته، وتبني مسألة النقد البناء من خلال رصد مشاكل



الواقع بأبعاده المختلفة؛ لتشخيص العِلل، والحَلل، وطرح الحلول النَّاجعة لها، ومناقشتها من باب الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، إذ إنَّه يمثِّل الهدف الأصيل الذي من أجله خرج الإمام الحسين عليه السلام، وقدَّم نفسه وأهله قرباناً له، إذ قال: «إني لم أخرج أشراً ولا بطراً، ولا مُفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي رسول الله صلى الله عليه وآله...» .

كان لبعض الأسر العلميَّة البصريَّة دورٌ واضحٌ وجليٌّ في المحافظة على ديمومة واستمراريَّة أداء المنبر الحسينيِّ؛ لدوره التوعوي الهادف، ومن بين تلك الأسر العلميَّة البصريَّة العريقة والأصيِّلة، أسرة آل الصَّافي، وأسرة آل المظفر، وآل القزوينيِّ، وآل شبر، وآل السُّويج، وآل القرينيِّ، وآل السَّهلانيِّ، وغيرها الكثير ممَّن يطوِّل المقام بذكرهم.

ومَّا يجبُ الإشارةُ إليه، والوقوف عنده، أنَّ طريقَ المحافظة على المنبر الحسينيِّ وديمومته لم يكن مُعبداً بالورود، بل كان مليئاً بالأشواك، التي زرعتها الظَّالمون والحاقدون، ضدَّ نهج أمير المؤمنين الإمام عليٍّ عليه السلام وذريَّته، فقد قدَّمت الشَّيعة من أجل بقائه الكثير من الدِّماء الطَّاهرة والزكِّيَّة منذ تأسيسه حتَّى يومنا هذا، إذ تعرَّض الجميع للمطارادات والقتل من السُّلطات، بدءاً من الخطباء الذين حازوا وسام الشَّهادة والخلود، وسطَّروا أروع معاني الفداء والتَّضحية في سبيل نهج الإمام الحسين عليه السلام وديمومة منبره الطَّاهر، فقد قدَّمت البصرة



من أبنائها الخطباء قرايين، من مثل الشيخ الخطيب عبد الرؤوف الدكسن^(١)، والشيخ الخطيب عبد الزهرة التميمي^(٢) (رحمهما الله) في سبيل القضية الحسينية، ومروراً بالأسر العلمية التي احتضنت المنبر الحسيني، وانتهاءً برواد المنبر الحسيني، والمصلين في المساجد والحسينيات التي تُعقد فيها مآتم الإمام الحسين عليه السلام في البصرة، وتعدى ظلم السلطات وحقدهم على المنبر الحسيني، وعداؤهم له إلى انتهاك حرمة المساجد والحسينيات، تارةً بإغلاقها وأخرى بتهديمها، ولا يخفى ذلك الخوف والرعب والتهجير الذي مارسه أعداء الإمام الحسين عليه السلام ومنبره الصادح بالحق على شيعته ومحبيه، الذين ظلوا على العهد باقين لنصرته وإحياء ذكره، نعم فقد قدم الجميع تضحيات كبيرة من أجل المحافظة على ذلك النبع الصافي الذي اغترف منه الأحرار حتى خلدوا في صفحات التاريخ، وحافظوا على تلك الشعلة النورانية التي ما فتئت تتوهج عبر الدهور والسنين. واليوم نعيش ثمرات تلك الدماء والدموع التي أتمدت لترسم لنا لوحة الصبر والإباء والولاء، ممزوجةً بصيحات المعزين والزائرين، بحناجر أتعبتها

(١) هو الشيخ عبد الرؤوف الشيخ عسكر الشيخ حسين الدكسن، من مواليد البصرة ١٩٢٢م، خطيبٌ وأديبٌ، استشهد في عام ١٩٨٨م، بحادث سيارة أُعدَّ لاغتiale في مفرق حي الحسين (الحيانية) في البصرة، بالقرب من كلية التربية الرياضية في البصرة.

(٢) هو الشيخ عبد الزهرة حامد محسن التميمي، من مواليد البصرة - الزبير ١٩٤٤م، خطيبٌ، وعالمٌ، اعتقل بعد انتهائه من صلاتي المغرب والعشاء، وأُخذ إلى جهة مجهولة، ولم يُعرف مصيره إلا بعد ست سنواتٍ من اعتقاله، وقد أبلغ أهله عام ١٩٨٨م، بإعدامه بعد اعتقاله بشهرٍ واحدٍ.



السَّنين العُجاف، وهي تقول: (لبيك يا حسين، لبيك يا حسين)، ويرى العالمُ اليوم الدَّور الرِّياديَّ لأهالي البصرة في إحياء ذكرى الإمام الحسين عليه السلام، ابتداءً من الحضور الكبير في مجالس العزاء، واستقطاب الخطباء الكبار والرَّواديد المعروفين، الذين وجدوا ضالَّتهم في البصريين لما يملكونه من حبِّ والتزامٍ في حضور مجالس التَّعزية - كما في السَّابق - مروراً بنصب مواكب الخدمة، والتَّحضير لزيارة أربعين الإمام الحسين عليه السلام (الظَّاهرة الحُسَيْنِيَّة العالِمِيَّة)، التي فاز أهالي البصرة بكونهم أوَّل من يشرع بإحياء هذه الشَّعيرة العظيمة من خلال انطلاقهم بالزَّحف نحو كربلاء المقدَّسة، قاصدينَ المولى أبي الأحرار الإمام الحسين عليه السلام، وكذا تأسيس المعاهد الخاصَّة بتعليم وحفظ القرآن الكريم، وتشديد دور ومؤسَّسات كفالة ورعاية الأيتام، وبناء المدارس الدينيَّة، والمؤسَّسات، والمراكز الفكريَّة والثقافيَّة، التي تُعنى بإحياء تراث أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم، وبالفعل فقد أثمر المنبرُ الحُسَيْنِي ما كان مرجوًّا منه، وتحقَّق ما خافه الظَّالمون والمعادون لمنهج الحسين عليه السلام، فكانَ كلُّ هذا التَّحدِّي للسلطات والحكومات الظَّالمة على مرِّ السَّنين من قبل الشَّيعة، ما هو إلاَّ نتاج المنبر الحُسَيْنِي الهادف وتأثيره في النَّاس.

الإمامُ الحُسَيْنُ عليه السلام في الفكرِ العالَميِّ

(٩)



الإمام الحسين عليه السلام في الفكر العالمي

أ. د. حسين علي المصطفى

جامعة البصرة - كلية التربية

أَلقت ثورة الإمام الحسين عليه السلام بظلالها الواسعة، على الفكر والمفكرين في العالم، وأدّت إلى التقاء الفكر الإسلامي والفكر المسيحي، وكذلك فكر الديانات الأخرى، وحتى فكر الشخصيات الحرّة، ومن ثمّ وصل الجميع إلى نتيجة واحدة، مفادها أنّ رسالة الحقّ، والاستجابة لنداء السماء، وكلمة الله، والنضال في سبيلها، هو أمرٌ رائعٌ ومصيريٌّ، يوحد كلمة العباد مهما اختلفت الأجناس والعقائد.

يمكن تقسيم آراء المفكرين في قضية ثورة الإمام الحسين عليه السلام إلى عدّة اتجاهاتٍ، نستطيعُ حصرها بالآتي:

الاتجاه الأول - نهضة الإمام الحسين عليه السلام ثورة إصلاحية عامة: أي أنّها أرادت تغيير النهج الأموي الذي تبناه يزيد، الذي أراد الإمام الحسين عليه السلام فضح زيفه، وبُعدِهِ عن الإسلام الذي جاء به الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله.

ولنا أنّ نستشهد بأقوال بعض المفكرين في هذا المجال، ومنها:
الزعيم الهندي غاندي، الذي تأثر بشخصية الإمام الحسين عليه السلام تأثراً حقيقياً، فخطب شعبه بقوله:

«تعلّمت من الحسين كيف أكون مظلوماً فأنصت... لقد طالعتُ بدقّة حياة الإمام الحسين عليه السلام الكبير، ودققت النظر في صفحات كربلاء، واتضح لي أنّ الهدى إذا أرادت أن تنصر فعليها أن تقتدي بالإمام الحسين عليه السلام». الألماني مارين، في كتابه السياسة الإسلامية «إنّ الحسين عليه السلام كان يثُرُ روح الثورة في المراكز الإسلامية المهمة، كمكة والعراق، وأينما حلّ، فازدادت نفرة قلوب المسلمين التي شكّلت مقدّمة الثورة على بني أمية».

الكاتب الإنكليزي موريس دو كاييري: «من المعلوم أنّ الحسين عليه السلام ضحّى بنفسه، لصيانة شرف وأعراض الناس، ولحفظ حرمة الإسلام، ولم يرضخ لتسلط ونزوات يزيد، إذن تعالوا نتخذة لنا قدوة، لتخلّص من نير الاستعمار، وأن نفضّل الموت الكريم على الحياة الدّيلة».

الاتجاه الثاني: نهضة الإمام حسين عليه السلام مثال التّضحية والخلود، وهذا واضح من بداية رحلة الاستشهاد من مكة وحتى كربلاء.

ونستشهد لهذا الاتجاه ببعض الأقوال، منها:

المستشرق الفرنسي لويس ماسينون: «لقد أخذ الحسين عليه السلام على عاتقه مصير الرّوح الإسلاميّة، وقُتل في سبيل تحقيق هذا الهدف فوق بطاح كربلاء».

المستشرق الأميركي غوستاف غرونيام:

«إنّ واقعة كربلاء ذات أهميّة كونيّة، فلقد أثّرت الصّورة المحزنة لمقتل الحسين عليه السلام ذلك الرّجل النبيل الشّجاع في المسلمين تأثيراً لم تبلغه أيّة شخصيّة



إسلامية أخرى».

الألماني مارين في مقولة أخرى: «قدّم الحسين عليه السلام درساً في التّضحية والفداء، من خلال التّضحية بأعزّ النَّاسِ لديه، ومن خلال إثبات مظلوميّته وأحقّيته، وأدخل الإسلام والمسلمين إلى سجلّ التّاريخ ورفع صيَّتهما».

الكاتب الإنكليزي السير برسي سايكس في كتابة تاريخ إيران، ردّ على مَنْ يُشكِّك بتضحية الإمام الحسين عليه السلام وأنها لمنافع دنيويّة بقوله: «إن كان الإمام الحسين عليه السلام قد حارب من أجل أهداف دنيويّة، فإنّني لا أدرك لماذا اصطحب معه النّساء والأطفال والصّبيّة؟ إذن العقل يحكم أنّه ضحّى فقط من أجل الإسلام».

الاتجاه الثالث: الإشادة بشجاعة الإمام الحسين عليه السلام بكونها أسمى شجاعة عرفها التّاريخ، ومن هذه الأقوال:

الآثاريّ الإنكليزي وليم لوفتس: «لقد قدّم الحسين بن عليّ عليه السلام أبلغ شهادة في تاريخ الإنسانيّة، وارتفع بمأساته إلى مستوى البطولة الفدّة».

الكاتب فردريك جيمس: «إنّ نداء الإمام الحسين عليه السلام، وأيّ بطلٍ شهيدٍ آخر هو أنّ في هذا العالم مبادئ ثابتة في العدالة والرّحمة والمودّة لا تغيير لها، ويؤكّد لنا أنّه كلّما ظهر رجالٌ للدّفاع عن هذه الصّفات، ودعا النَّاسِ إلى التمسك بها، كُتِبَ لهذه القيم والمبادئ الثبات والديمومة».

توماس كارليل (صاحب كتاب الأبطال): «أسمى درسٍ نتعلّمه من مأساة



كربلاء هو أن الحسين (عليه السلام) وأنصاره كان لهم إيمانٌ راسخٌ بالله، وقد أثبتوا بعلمهم ذلك أن التفوق العددي لا أهميَّة له حين المواجهة بين الحقِّ والباطل، والذي أثار دهشتي هو انتصارُ الحسين (عليه السلام) رغم قلةِ الفئة التي كانت معه».

برسمي سايكس وإعجابه ببسالة وشجاعة الإمام الحسين (عليه السلام) وصحبه بقوله: «إنَّ الإمامَ الحسينَ (عليه السلام) وعصبته القليلة المؤمنة، عزموا على الكفاح حتَّى الموت، وقاتلوا بطولَةٍ وبسالةٍ، ظلَّت تتحدَّى إعجابنا وإكبارنا عبر القرون، حتَّى يومنا هذا».

الاتجاهُ الرَّابعُ: نهضةُ الإمام الحسين (عليه السلام) هي قدوةٌ لكلِّ الشُّعوب التي تريد التَّخلُّص من الظُّلم، ومن الأقوال في ذلك:

القسُّ المسيحيُّ إنطوان بارا، صاحب كتاب الإمام الحسين (عليه السلام) في الفكر المسيحي: «لو كان الحسين (عليه السلام) لنا، لرفعنا له في كلِّ بلد بيراً، ولنصبنا له في كلِّ قريةٍ منبراً، ولَدَعَوْنَا النَّاسَ إلى المسيحيَّة باسم الحسين (عليه السلام)».

الكاتب جون أشر (في كتابه رحلة إلى العراق) يقول: «إنَّ مأساةَ الحسينِ ابنِ عليٍّ (عليه السلام)، تنطوي على أسمى معاني الاستشهاد في سبيل العدل الاجتماعي».

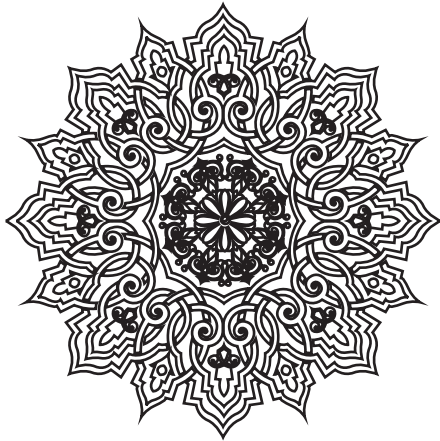
توماس لايل: أيقنتُ أنَّ الورع الكامن في الحسين وأتباعه، والحماسة المتدفقة منهم، بوسعها أن يهزَّوا العالم هزّاً، فيما لو وُجِّهَتْ توجيهاً صحيحاً، وانتهجا السبيل القويم».

الرئيس السابق للمؤتمر الوطني الهندي تاملاس توندون: «هذه التّضحيات



الكبرى لشهادة الإمام الحسين عليه السلام رفعت مستوى الفكر البشري، وخليق بهذه الذكرى أن تبقى إلى الأبد، وتذكر على الدوام».

وأخيراً ماذا تعلم الناس من هذه المدرسة، مدرسة الشجاعة والتضحية؟ إن هذه الملحمة الإلهية قدّمت دروساً كبرى للإنسانية على اختلاف مشاربها، أهمّها تثبيت رسالة السماء، ودعوات الأنبياء عليهم السلام، وما جاؤوا به من قيم ومبادئ تسمو بالإنسان، ثم ما تجلّى على أرضها من قيم وعبر ومعاني تهزّ الوجدان الحيّ، وتوقظ الضمير النائم؛ لتبصّره فجائع الواقع، ولتدفعه بقوة إلى الوقوف بوجه الظلم والظالمين، وهذا هو سرُّ الخلود لثورة الإمام الحسين عليه السلام عبر التاريخ.



مِنْ عُيُونِ الشَّعْرِ البَصْرِيِّ فِي الإِمَامِ الحُسَيْنِ ؑ

(١٠)



مِنْ عِيُونِ الشَّعْرِ البَصْرِيِّ فِي الإِمَامِ الحُسَيْنِ (عليه السلام)

ارتأينا أن نذيلَ هذا العطاء ببعضِ روائعِ الشَّعْرِ البَصْرِيِّ فِي الإِمَامِ الحُسَيْنِ (عليه السلام)، مِنْ شعراءِ عُرِفُوا بمهارتهم، وامتلاكِهِمْ أزمَّةَ الشَّعْرِ وناصِيتَهُ.

١- ابنُ حَمَّادٍ البَصْرِيِّ^(١):

أبو الحسنِ عليُّ بنُ حَمَّادِ بنِ عبيدِ اللهِ بنِ حَمَّادِ، العَدَوِيُّ، العَبْدِيُّ، البَصْرِيُّ.
مِنْ شعراءِ أَهْلِ البَيْتِ (عليه السلام)، وَكَانَ وَالِدُهُ حَمَّادٌ كَذَلِكَ، وَقَدْ ذَكَرَهُ وَلِدُهُ عَلِيُّ فِي
شِعْرِهِ بِقَوْلِهِ مِنْ قَصِيدَةٍ:

وَإِنَّ العَبْدَ عَبْدُكُمْ عَلِيًّا كَذَا حَمَّادٌ عَبْدُكُمْ الأَدِيبُ
رثَاكُمْ وَالسَّيِّدِ بِالشَّعْرِ قَبْلِي وَأَوْصَانِي بِهِ أَنْ لَا أَغِيبُ
وَابْنُ حَمَّادٍ عَلِمَ مِنْ أعلامِ الشَّيْخَةِ، وَقَدْ مِنْ أَفْذَاهَا، وَمِنْ صُدُورِ شِعْرَائِهَا،
وَمِنْ حَفَظَةِ الحَدِيثِ المَعاصِرِينَ لِلسَّيِّدِ الصَّدُوقِ وَنظرائِهِ، وَقَدْ أَدْرَكَه النُّجاشِيُّ،
وَقَالَ فِي رِجَالِهِ: قَدْ رَأَيْتَهُ.

وَابْنُ حَمَّادٍ مِنْ نَاشِرِي أَلُوبَةِ الشَّعْرِ، وَعَاقِدِي بَنُوهُ، وَمُنظِّمِي صَفُوفِهِ...
وَجامِعِي شِوَارِدِهِ، وَهُوَ مِنَ المَكْثَرِينَ فِي أَهْلِ البَيْتِ (عليه السلام) مَدْحاً وَرِثاءً، وَلَقَدْ أَكْثَرَ
وَأَطابَ، وَجَاهَرَ بِمَدْحِهِمْ، وَأَذاعَ.

جَمَعَ شِعْرَهُ فِيهِمْ صَلَواتُ اللهِ عَلَيْهِمُ العَلامَةُ السَّماوِيُّ فِي دِيوانِ يَرُبُو عَلَى

(١) تَنْظُرُ تَرْجُمَةُ الشَّاعِرِ، وَقَصِيدَتُهُ فِي الغَدِيرِ، لِلعَلامَةِ الأَمِينِي: ٤/ ١٥٣. بِتَصَرُّفٍ سَيِّرٍ.



٢٢٠٠ بيتاً، وجُلُّ شعره يشفُّ عن تقدُّمه الظاهر في الأدب، وأشواطه البعيدة في فنون الشعر، وخطواته الواسعة في صياغة القريض، كما أنه ينمُّ عن علمه المتدفق، وتضلُّعه في الحديث، بذلُّه في بثِّ فضائل آل الله، وإقامة الدعوة إلى سنن الهدى، فشعره لسان حجاج وبرهنة، لا سباحة في الأخيلة.. ومن روائعه الشعريَّة، قصيدةٌ طويلةٌ في مدح أهل البيت (عليهم السلام)، وذكر فضائلهم، قال نجم الدين العمري في [المجدي] في ذكر ولد زيد بن علي: أنشدني أبو علي بن دانيال، وكان من ذي رحمةٍ رحمته من قصيدة أنشدتها إياه الشيخ أبو الحسن عليُّ ابن حماد بن عبيد العبدِيِّ، الشاعرُ البصريُّ، رحمه الله لنفسه.

أسألتني عمَّا أُلقي من الأسي سِلي الليل عني هل أجنُّ إذا جنَّا؟!
ليُخبرك أني في فنونٍ من الجوى إذا ما انقضى فنُّ يوكلُّ بي فناً
وهذا هو مطلعُ القصيدة، ثمَّ يخلص إلى ذكر الإمام الحسين (عليه السلام) فيقول:



أَيَا سَاكِنِي نَجِدْ سَلَامِي عَلَيْكُمْ ظَنَّنَا بِكُمْ ظَنًّا فَاخْلَفْتُمُوا الظَّنَّ
أُمُتْلُ مَوْلَايَ الْحُسَيْنَ وَصَحْبَهُ كَأَنْجَمٍ لَيْلٍ بَيْنَهَا الْبَدْرُ أَوْ أَسْنَا
فَلَمَّا رَأَتْهُ أَحْتَهُ وَبَنَاتُهُ وَشَمْرٌ عَلَيْهِ بِالْمَهْنَدِ قَدْ أَحْنَى
تَعَلَّقْنَ بِالشُّمْرِ اللَّعِينِ وَقُلْنَ: دَعِ حُسَيْنًا فَلَا تَقْتُلْهُ يَا شَمْرُ وَاذْبَحْنَا
فَحَزَّ وَرِيْدِيهِ وَرَكَّبَ رَأْسَهُ عَلَى الرُّمْحِ مِثْلَ الشَّمْسِ فَارَقَتِ الدَّجَنَّا
فَنَادَتِ بِطُولِ الْوَيْلِ زَيْنَبُ أُخْتُهُ وَقَدْ صَبَغَتْ مِنْ نَحْرِهِ الْجَيْبَ وَالرُّدْنَا
أَلَا يَا رَسُولَ اللَّهِ يَا جَدَّنَا اقْتَضَتْ أُمِّيَّةٌ مِنَّا بَعْدَكَ الْحِقْدَ وَالصُّغْنَا
سُبِينًا كَمَا تُسَبِّى الْإِمَاءَ بِذَلَّةٍ وَطَيْفَ بِنَا عُرْضَ الْبِلَادِ وَشُتْنَا
سَتَفَنَى حَيَاتِي بِالْبِكَاءِ عَلَيْهِمْ وَحُزْنِي لَهُمْ بِأَقْ مَدَى الدَّهْرِ لَا يَفْنَى
أَلَا لَعْنَ اللَّهِ الَّذِي سَنَّ ظُلْمَهُمْ وَأَخْزَى الَّذِي أَمَلَا لَهُ وَبِهِ اسْتَنَّا
سَأْمَدَحُكُمْ يَا آلَ أَحْمَدَ جَاهِدًا وَأَمْنَحُ مَنْ عَادَاكُمْ السَّبَّ وَاللَّعْنَا
وَمِنْ مِنْكُمْ بِالْمَدْحِ أَوْلَى لِأَنَّكُمْ لِأَكْرَمُ مَنْ لَبَّى وَمَنْ نَحَرَ الْبُدْنَا

٢- الشيخ مهدي الحجار (المتوفى ١٣٥٨هـ)

هو الشيخ مهدي بن داود بن سلمان بن داود الشهير بالحجار، عالم فقيه وأديب شهير، وُلِدَ عام ١٣١٨هـ، وكان والده أُميًّا، وكذلك جده، أما والده فكان ينقل الحجارة من أنقاضها، غير أن الولد نشأ ميلاً للعلم والأدب، فدرس المقدمات، وهو ابنُ عشر سنوات، ونظم الشعر في الخامسة عشرة من العمر وبرع فيه، واختلف على مشاهير العلماء، وتلمذ على الزعيم الروحي

الشيخ أحمد كاشف الغطاء رحمته، كما حضر على المرجع الديني الميرزا محمد حسين النائيني رحمته في الأصول، ولعت مواهب الشيخ الحجار، وراح يغذي الشباب بالعلوم الدينية، والدروس الإسلامية، مضافاً إلى حلقة أدبية تضم العشرات من الشباب الذين كانوا يعرضون عليه نتائجهم الأدبية، ويعتدون برأيه، إذ كان أبرع أقرانه يومذاك، له قصيدة طويلة في العقائد نشرتها المطابع آنذاك، فكان المتأدبون يحفظونها، وهي المسماة (البلاغ المين).

قال في رثاء الإمام الحسين عليه السلام:

ألا يالفه رثارتها	أثرها تعج بأصواتها
كأن العنا في استراحاتها	وقدّها عراباً الفنّ الفلا
تخايّلهم في أريكاتها	تخايّل من تحت فرسانها
تصيد الأسود بغاباتها	عليها من الصيد غلابة
إلى الحرب خير بقياتها	طلائع هاشم يقتادها
وارثها في كراماتها	حنائك يا خلف السالفين
لواها وسود راياتها	أعدتّك أل لوي لمن
على هضمها واغتصاباتها	فحتّى م تغضي وأنت العيور
فخاضته قبل إجاباتها	دعاها إلى الحرب محبوبها
لترضي الحبيب بهباتها	وهبت وناهيك فيمن تهب
وما ذاك إلا شذى ذاتها	تري أنّ في النقع نشر العبير



جَلَّتْهَا مِنَ الْعَزْمِ بِيضِ الصَّفَاحِ
 صحائفُ تقرأُ مِنْهَا الكُتْمَاءُ
 فتبغِي الفِرَارَ وَكَيْفَ الفِرَارُ
 مثلُ ابن... يُمِيتُ البتول
 ومثلُ أميَّةَ تلك التي
 تُغَالِبُ مثلُ بني غالبٍ
 لَذاكَ أبى ذاكَ رَبُّ الإِبا
 وَذَكَ مِنْ الطَّفِّ أَطْوَادَهَا
 كُتْمَاءُ يهابُ الرِّدَى بطشها
 لقد تاجرت رهبًا في النفوسِ
 ومُذْ أَرخَصتْ سَوْمَهَا للهُدى
 برأدِ الضُّحَى نزلت كربلا
 تهاوت، وليس تُعَابُ النُّجُومُ
 وباتت على الأرض مثلُ البُذورِ
 مُغَسَّلَةٌ في جراحاتها
 ولَمَّا رَأى السَّبْطُ أنصاره
 رَقى ضامراً ونَضَى صارماً
 وحينَ انبرى نحو هاماتها
 كأحسابها وكنياتها
 (إنافتحنا) وآياتها
 وأرجلها فوق هاماتها
 بفادحِ خَطْبِ رزياتها
 تبيتُ نَشَاوى بحاناتها
 وتدفعُها عَن مَقاماتها
 فأرسي على غاضرياتها
 بأسادِ فهِرٍ وساداتها
 ويخشى القضا من ملاقاتها
 وقد ربحت في تجاراتها
 أراها المُنَى في منياتها
 وفي الليلِ باتت بجناتها
 إذا ما تهاوت كعادتها
 عراها الكُسُوفُ بهالاتها
 مُكفَّنَةٌ في شهاداتها
 سقتها الحُتُوفُ بكاساتها
 فَقَرَّبَ أَشْراطَ ساعاتها
 بَراها ابنُ خَيرِ برياتها



يُنَادِي بِأَجَاهِهَا سَيْفُهُ
كَأَنَّ الْجَاهِمَ مَشْغُوفَةٌ
تَرَى الْأَرْضَ تَرْجُفُ مِنْ تَحْتِهِ
لِكَ الْوَهْنُ يَا أَرْضَ عَنْ ثَابِتٍ
وَلَمَّا رَأَى أَنَّ هَذِي النُّفُوسِ
فَشَاقَتُهُ مَنْزِلَةُ الصَّالِحِينَ
قَصَى ابْنُ عَلِيٍّ فَيَا هَاشِمٍ
لَمَنْ أَنْتِ مِنْ بَعْدِهِ لِلْوَرَى
أَلْطَمًا عَلَى الصَّدْرِ مِنْ بَعْدِهَا
حَرَامٌ عَلَى غَالِبٍ أَنْ تَبُلَّ
وَتَلِكَ يَتَامَاهُمْ تَشْتَكِي
وَيَا آلَ فِهْرٍ لَقَدْ حُقَّ أَنْ
فَتَلِكَ الْحَرَائِرُ فِي كَرْبَلَا
لَمَنْ تَرْفَعُونَ الْخُدُورَ وَقَدْ
وَجَاءَتْ لِكَافِلِهَا تَسْتَعِيثُ
فَتَأْتِيهِ مِنْ قَبْلِ أَوْقَاتِهَا
بِهِ فَهِيَ تَأْتِيهِ مِنْ ذَاتِهَا
بِأَحْيَائِهَا وَبِأَمْوَاتِهَا
يُنْزَلُ سَبْعَ سَمَاوَاتِهَا
جَمِيعًا رَهَائِنَ مِيقَاتِهَا
فَتَأَقُّ رَوَاحًا لِغَايَاتِهَا
قَعِي بَعْدَهُ فِي مَذَلَّاتِهَا
لِأَرَائِهَا أَمْ لِحَاجَاتِهَا
عَدَا صَدْرُهُ رَهْنَ غَارَاتِهَا
بِالْمَاءِ حَرَّ حُشَاشَاتِهَا
وَفِي الْمَاءِ جُلُّ شَكَايَاتِهَا
تُمِيطُوا خِبَا عَلْوِيَّاتِهَا
سَتَرْنَ الْوَجُوهَ بِرَاحَاتِهَا
تَكْلَنَ الْخُدُورَ بِرَبَّاتِهَا
وَتَبْكِي الْعِدَى لِاسْتِغَاثَاتِهَا^(١)

(١) ينظر ترجمته وكذا القصيدة، في أدب الطف: ١٠ / ٣١٣.

٣- بدر شاكر السيّاب

شاعرٌ عراقيٌّ بصريٌّ متميّزٌ، وُلِدَ في جيكور في قضاء أبي الخصيب، جنوبي البصرة، سنة ١٩٢٦م، تأثر كثيراً بوفاة أمّه التي فارقتها عام ١٩٣٢م، وهي في الثالثة والعشرين من عمرها، وهو في عُمر السادسة، والده، شاكر بن عبد الجبار ابن مرزوق السيّاب، وُلِدَ في قرية (بكيج)، وأكَمَلَ دراسته في المدرسة الرشيدية في أبي الخصيب، زاول التجارة والأعمال الحرة في البصرة أثناء العهد العثمانيّ، ثمّ توظّف في دائرة (تموين أبي الخصيب)، توفي في ٧/٥/١٩٦٣م، وأولاده (د. عبدالله، وبدر، ومصطفى)، عاش السيّاب فقيراً، ومات فقيراً، وإليه يُنسبُ ابتداءُ شعرِ التّفعية (الشعر الحرّ)، اشتغل في الصحافة والتّدرّيس، تقلّب في قناعاته وآرائه التي فصل من الخدمة، وأودع السّجن بسببها، حتّى اضطرّ للسّفر إلى إيران، ثمّ إلى الكويت، التي توفّي في إحدى مستشفياتها عام ١٩٦٤م، عن عمرٍ بلغ ٣٨ سنة، بعد إصابته بألم في أسفل ظهره، ودُفِنَ في مقبرة الحسن البصريّ في الزّبير، له مؤلّفاتٌ وديوانٌ شعريّ.



قال من قصيدة له عنوانها (الدمعة الخرساء)، يهجو بها يزيد لعنه الله:

إرم السماء بنظرة استهزاء
واسحق بظلك كل عرض ناصع
واملا سراجك إن تقضى زيتته
واخلع عليه كما تشاء ذبالة
واسدُرْ بغيك يا يزيدُ فقد ثوى
والليل أظلم والقطيع كما ترى
وإذا اشتكى فمن المغيث وإن غفا
مثلتُ غدرك فاقشعر لهوله
واستقطرت عيني الدموع ورنقت
أبصرتُ ظلك يا يزيدُ يرجه
رأسُ تكلل بالحنى، واعتاض عن
ويدان مؤثقتان بالسوط الذي
عصفت بي الذكرى فألقت ظلها
مبهورة الأضواء يغشى ومضها
أضفى عليه الليل سترًا حيك من
أسرى، ونام فليس إلا همسة
تلك ابنة الزهراء ولهى راعها
واجعل شرابك من دم الأشلاء
وأبح لنعلك أعظم الضعفاء
مما تدر نواصب الأثداء
هدب الرضيع وحممة العذراء
عنك الحسين ممرق الأحشاء
يرنو إليك بأعين بلهاء
أين المهيب به إلى العلياء
قلبي وثار وزلزلت أعضائي
فيها بقايا دمعة خرساء
موج اللهيب وعاصف الأنواء
ذاك النضار بحيّة رقطاع
قد كان يعبثُ أمس بالأحياء
في ناظري كواكب الصحراء
أشباح ركب لَج في الاسراء
عرف الجنان ومن ظلال "حراء"
باسم الحسين وجهشة استبكاء
حلّم ألم بها مع الظلماء



تُنْبِي أَحَاهَا وَهِيَ تُخْفِي وَجْهَهَا
عَنْ ذَلِكَ السَّهْلِ الْمَلْبَدِّ يَرْتَمِي
يَكْتَبُ بِالْأَشْبَاحِ ظَمَأَى حَشْرَجَتْ
مَفْغُورَةَ الْأَفْوَاهِ إِلَّا جَثَّةً
زَحَفَتْ إِلَى مَاءٍ تَرَاءَى ثُمَّ لَمْ
غَيْرِ الْحُسَيْنِ تَصُدَّهُ عَمَّا انْتَوَى
مَنْ لِلضُّعَافِ إِذَا اسْتَعَاثُوا وَالتَّظَنَّتْ
بِأَبِي عَطَاشِيٍّ لَا غَبِينَ وَرَضَعَاً
أَيْدٍ تُمَدُّ إِلَى السَّمَاءِ وَأَعْيُنُ
عَزَّالِ الْحُسَيْنِ وَجَلَّ عَنْ أَنْ يَشْتَرِيَ
ذَعْرَاءً، وَتَلْوِي الْجَدِيدِ فِي إِعْيَاءِ
فِي الْأَفْقِ مِثْلَ الْغَيْمَةِ السَّوْدَاءِ
ثُمَّ اشْرَابَتْ فِي انْتِظَارِ الْمَاءِ
مَنْ غَيْرِ رَأْسٍ لَطَّخَتْ بِدَمَاءِ
تَبْلُغُهُ فَانْكَفَأَتْ عَلَى الْحَصْبَاءِ
رُؤْيَا .. فَكُفِّي يَا ابْنَةَ الزَّهْرَاءِ
عَيْنَا "يَزِيدَ" سَوَى فَتَى الْهَيْجَاءِ
صُفَّرَ الْوَجْهَ خِمَائِصَ الْأَحْشَاءِ
تَرْنُو إِلَى الْمَاءِ الْقَرِيبِ النَّائِي
رِيَّ الْقَلِيلِ بِخَطَّةٍ نَكَرَاءِ

فهرس المحتويات

٣	مُقَدِّمَة
١١	حِدَادُ الكَوْنِ
١٩	فلسفَةُ الشَّهَادَةِ
٢٥	قراءةٌ في رسالةِ الإمامِ الحُسينِ (عليه السلام) إلى أهلِ البصرةِ دورُ المرأةِ البصريَّةِ في النَّهضةِ الحُسينيَّةِ ليلِ النهشليَّةِ وماريةِ العبديةِ
٤١	أَنموذجاً
٤٩	وَمُضاتٌ من دورِ السَّيدةِ زينبِ (عليها السلام) في واقعةِ الطفِّ
٥٧	أهمُّ المواقعِ الجغرافيَّةِ في مسيرةِ الإمامِ الحُسينِ (عليه السلام) مَكَّةَ وكرِبلَاءَ
٦٥	من أقدمِ الحُسينيَّاتِ وأشهرِها في مدينةِ البَصْرَةِ
٧١	المنبرُ الحُسينيُّ وتأثيرُهُ في الواقعِ البصريِّ
٧٩	الإمامُ الحُسينُ (عليه السلام) في الفكرِ العالميِّ
٨٧	من عُيونِ الشَّعرِ البصريِّ في الإمامِ الحُسينِ (عليه السلام)
٩٦	فهرس المحتويات